مناظرة المبشرين

فى

جمعية الشبان المسيحيين

(بقلم)

(خليل أبى لبن الحسنى)

من علماء الازهر الشريف

الطبعة الاولى سنة ١٣٤٨ ه ١٩٢٩ م

وهى تطلب من مكتبة التهذيب بجوار الأزهر بالقاهره

لصاحبها أحمد محجوب الكتبى

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجماليه بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد ، المنزه عن الصاحبة والولد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

والصلاة والسلام على خاتم الرسل سيدنا محمد ، وعلى جميع الانبياء والمرسلين المعصومين من العيوب والذنوب .

و بعد ، فهذه شذرة يتيمة تحمل بين جوانحها مباحث قيمة ، وتنطوى أضالعها على جمل مفعمة بالبراهين الناصعة ، وملأي بالأدلة العقلية والنقلية ، لدحض ضلالات المبشرين التي يرتمون بها علينا فى عقر دارنا فى هذا الوقت العصيب ، الذي أصبح فيه الأسلام غريبا فى بلاده ، يطارده خصومه وأعداؤه بقلوب طافحة بالغيظ والكراهية ، وأهله عنه فى غفلة و بيلة ! !

أنشأتها ورائدى فيها الاخلاص . وقد نشرتها تباعا على صفحات جريدة الأخبار الغراء تحت عنوان (مناظرة المبشرين في جمعية الشبان المسيحيين » بامضائى الصريح ، وكم كان لها فى نفوس السامعين والقراء جميل الوقع وعظيم التقرير ! وكثيراً ما ألحفوا على واسهبوا فى الألحاف فى أن تطبع هذه المناظرة ، لما تنطوى عليه من الفوائد الجمة التى لا تستنبط من أمهات الكتب !

فعضوا عليها بالنواجذ معشر الغيورين على الاســلام ، فانها تنبؤكم عن جميع مايحاول به المبشرون خنق شريعتكم السمحة ، ليصــدوكم عن سبيل الله فتمسكم النار ، وماهى الا نار تحرق الأخضر واليابس ، فتجعل قلوبــكم دوارس . وتدرأ عنكم جيوشهم المتألبة ، وتقيكم من السقوط فى شرك احابيلهم ، « فاعتــبروا يا أولى الألباب » (وما توفيقي الا بالله عليــه توكلت واليه أنيب)

خليل أبولبن الحسنى

مقدمة

المسلمون وغفلتهم وما يجب أن يكونوا عليه

تألبت على الأسلام في هـذه الآونة الأخـيرة مقاومات من ابنائه واعـدائه ، يتآمرون على حياته في دياجى الليـل الحالك : كل يريد أن ينقض بناءه الشامخ ، ويغمر نوره الواضح .

وعندي أن كليهما أشد حذراً من أخيه !!

أما اعداؤه فهم المبشرون — دعاة النصرانية — الذين قذف بهم الغرب علينا ، أو اتخـذهم الاستعمار آلة لهدم دعائم ديننا ، ليـذيعوا دعايتهم فى اكناف شرقنا الأسـلامى بتحين الفرص ، هجعة ويقظة ، فيضـلوا بها ضعفاء العقول . . .

ومعلمو المدارس الأسلامية منهم ، الذين ينفثون سمومهم ومستنقعات ضمائرهم بين أبنائنا واطفالنا ، فاذا ماوصل أحدهم الى مقام الرجوليـة كان حرباً عواناً على دينه وأمته !!

وأما ابناؤه فهم انصار التجديد و لألحاد والفرنجة ، الذين يحبذون كل ماطلـع به الغرب علينا ممـا يخالف قواعـد ديننا الحنيف ، و يطرحون بعاداتنا واحكام ديننا ظهرياً ، إستهزاء وسخرية ،

ولعمرى ماهو الامن خبل فى العقل ، وضـعف فى الدين ، وقصور فى الأرادة والتعلم ! !

كل ذلك والمسلمون واجمون أمام حركاتهـم العنيفة وتيارهم الجارف ، لا يأتون حراكا . أرجلهم لا تتقدم قيد شبر وأعينهم شاخصة لاتنظر ابعد

من الانف الي ماوراء حفزهم من الدهاء والبلاء . وايديهم لاتمتد الى دفع ماتطاول الى أرواحهم . والسنتهم عجزت عن ابعاد مايساورهم من الأضاليل والأوهام.. كل يبتغي مصلحته الخاصة ، غير مبال بماوراء هذه من مصالح عامة يجب الأيمان بها والعمل على اسعادها وتوثيق عراها . . .

الزعماء لاينظرون الي حل سلاسل العبودية من اعناقهم وامتهم، بل نفوسهم دائما تطمح للراحة وعدم القلق ، وتتطلع الى سلب دريهمات من خصومهم ليرفعوا بها سماءهم و ينشروا ذكراهم . ولا الى ترويج بضاعة الدين ، بحيث يقفون موقف المناصر لاموقف المعارض أو المتفرج ....

والعلماء لايعملون بما هو ملقي على عاتقهم من بث الدعوة بين ربوع الأمة وزواياها لينيروا لها الطريق ! كما تنحدر عن اعتقادها ورفيع مجدها الى وهدة سحيقة يحفرها لها أعداء الأسلام وابناء الأسلام الأدعياء . والأقوياء من الأمة لايتطلعون الى ضعفائها بعين السهر ، ليدفعوا عنهم عوادي العوز والفاقة التي تتعهدهم وتشدد الخناق عليهم ، لا بما هو ثابت لهم ولا بما هو زائد عنه .

هجر بعضهم بعضاً ، وقطعوا ما كان بينهم من حبل الصلة المتين ، لايشفق الاصل لفرعه ، ولا يوقر الفرع اصله ، ولا ينظر اخاه الا بعين الاحتقار والازدراء .

والرؤساء فى سائر الأقطار لاينظرون الى حماة الأسلام وحملة الشرع نظرة تقدير ومساواة ! !

الى متى هذا الهجران ؟ ولم هذا التقاطع الوبيل ! ولم هذه القساوة الشديدة التى استعبدت القلوب ؟

الايجدر بنا أن نتنبه من رقادنا هذا ونعمل على جمع كلمتنا ، وتوحيد صفوفنا ، و بعثها من مرقدها هذا ؟

ان شعاب الكلام غامضة أمام الناقد البصير اذا ماتطلع الي ماوراء هذه المناوآت والمنازعات من انقلابات خطيرة وغير تقضي على البقية الباقية من ديننا وقوميتنا وشعارنا ، فنصبح تاريخاً تلوكنا الألسنه ! !

كان المسلمون فى السنين الغابرة شديدى الغيرة والحرص على عقائدهم وآدابهم وأوطانهم ، يتأثرون لما يمس أحدهم ، سواء فى عقيدته أو ماله أودينه ، و يؤثرون المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، و يمدون أرجلهم خطوات الي السبق والأمام ، حرصاً على مجدهم التالد وعزهم الغابر من الدثار والاضمحلال .

ولكن خلف من بعدهم خلف أضاعوا كل هذه الخلال الشريفة ، وانقلبوا عليها انقلاب الخصم على الخصم ، واتبعوا خطوات الشيطان فضلوا عن سواء السبيل ! ؟

* * *

لانريد أن نلقي دروساً تاريخية على الأمة وقرائها لنذكرهم بوقوع ذلك ، لانه قد يكون موجوداً فى نفس القارئ . وانما الذى نريد أن نقوله هو أن ننبذ هذا التطاردوالتطاحن من بيننا ونتلمس الخلاص منه ، وننتزع مافى طوايا قلوبنا من غل وقسوة ، ونؤوب الي نواميس ديننا ونذب عن حياضه بان نخصص فئة من العلماء النبهاء للرد على شبهات المبشرين وخرافاتهم ، بحيث تذهب هذه الفئة الي الاكناف التي يجوس خلالها انصار التبشير واعداء الأسلام ، ليقطعوا عليهم سبلهم التي هم فيها ، ولا نتخذ أولوية اهمالهم دعامة لسكوننا ، كراهة أن يلبسوا على امتنا الامر

فتقع فى بحرلجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض — لما أننا نشاهد عامتنا تلج كنائسهم وجمعياتهم .

واذكر منذ أمد قريب كنت جالساً فى الأزهر المعمور ، واذ بصديق لى يطلب منى أن نذهب الى جمعية الشبان المسيحيين بقرب حديقة الأزبكية ، لننتهز فرصة حضور المناظرة التى ستقع بين الأزهريين والمبشرين ، حيث فرقت منشورات لذلك ، فامتثلت قوله وذهبنا نستبق فوجدنا المكان قد غص بالحاضرين وكلهم من عوام الأمة وقليل من طلبة العلم وابناء المدارس ، فجلسنا مستمعين لمحاضرة المبشر لعدم وجود مستحضر يرد عليه ، وكررنا الذهاب والأياب اسابيع حتى وقفنا على جميع اقواله وفي آخر ليلة وقفت بعد انتهاء المحاضرة واستأذنت حضرة القس ، ليأذن لى بالكلام فى الاسابيع المقبلة فاذن ، وفى اسبوع آخر استحضرت الرد على دعاويه ووقفت اذ ذاك انقض ماتمسك به من الشبه آتيا عليها شبهة شبهة . . .

وعند الأنتهاء حملته علي أن ننشر تلك المناظرة على صفحات الجرائد الشرقية مذيلين دعاوينا بامضاءآتنا ، لنحكم فيهما الرأى العام فاستعصى وسنطلع القراء على ماوقع فى مقال آخر ان شاء الله تعالى .

هذا مايجب أن يكون فى جانب المبشرين ازاء أعمالهم . وأما معلمو المدارس الأسلامية منهم فنلفت نظر ولاة الأمور الآخذين بزمام الأمة أن يرجعوا بنظرهم كرتين ويعملوا علي تلافى هذا الخطر ، خشية أن تنقلب أبناء الأمة عليها فى المستقبل القريب ، ويكفينا شاهد صدق على هذا مانراه من ابنائنا اليوم . والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردي

خليل أبو ابن الحسنى

﴿ الربط بين المقدمة والمناظرة ﴾

أعربنا فى مقالنا الأول عن التأخر الذى تدلى بالدين من ذروة المجد الى مدارك الأنحطاط ، واسفنا بوجه خاص لاهمال العلماء والزعماء ماهو ملقى على عاتقهم ازاء امتهم وشريعتهم وقوميتهم ، وبينا العوامل التي تتنازع معتقداتنا فتسلبها نعمتها ، كما سلبتنا حريتنا ، حتي خنقتنا ، فى الوسط الانساني ، واستفززنا الهمم من سباتها ورقادها الشائن ، وذكرنا أربابها بما يدفع عنهم غوائل المعتدين والمستبدين ، وقلنا حتم على العلماء أن يبرزوا تعاليم الشريعة السمحة الى أمتهم لتستنير بها فى هذا الوقت المظلم الذي رزئ فيه الاسلام بخصوم يقذفونه بالحجارة ، ويشنون عليه الغارة ، ويعقه ابناؤه ويلصقون به ماهو منه براء « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » ، ونوهنا عن هذه المناظرة . ورجاؤنا أن تتناقلها الصحف الأسلامية لاعلان خرافات المبشرين . وها نحن أولاء نوردها مع الاختصار فى الأدلة ، حذر التطويل :

بسم الله نفتتح هذه الجلسة ، ونعوذ به من قلوب كالحجارة أو أشد قسوة .

وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً .

والصلاة والسلام على اشرف الخلق اجمعين سيدنا محمد ، وعلى جميع الانبياء والمرسلين . وبعد ،

فمما لاريب فيه ان الانسان منذ بداية أمره ، وهو أسير عادات قومه وعشيرته ، حسب ما اعتادها ، نظرا لطبيعته البشرية . لاسيما اذا تمكنت من صميم نفسه وتحكمت مشاعره لا يستطيع فراقها الابالكره من نفسه ، كالطفل يحب الرضاع فلا يفارقه بالفطام الابالمشقة الشديدة ! !

ومن هنا نشأت الملل والديانات المختلفة . وهذا لا ينهض وليلا على أن ديانة كل طائفة خير الديانات الموجودة ، لأن مجرد تمسكه باهدابها لا يدل على صحتها ، بل قد تكون عين الخطأ . كما ان محبة الصانع لصنعته لا تدل على انها أشرف المهن ، بل قد تكون اخسها .

وهكذا جميع الأمور اذا نشأ الأنسان عليها ، وطالت صحبته لها ازداد بها تعلقاً ورغبة ، فاذا ما أجبر على نبذها صعب عليه الأمر واشتدت حالته . وهذا أمر بديهى لا ينكره عاقل ! !

فقد تبينا من ذلك أن مجرد محبة الانسان لدينه الذى اعتنقه تقليداً لأسلافه لا يدل على أنه الدين الحق الذى يكون سبباً فى سعادته الأبدية . واذا ثبت ذلك وجب على كل ذي عقل أن يبحث بحثاً دقيقاً عن حقيقة دينه وغيره ، حتى يصل الى الصواب فيتبعه أيا كان ، فان الخطأ كل الخطأ فى اتباع الدين الباطل الذى ينتمى اليه بدون أن يتعرف منبته وأصله ! ؟

وليس الوقوع فى مثل هذا الخطأ كالوقوع فى اشياء فرعية أو عادية ، فان تلك غايتها اللوم فى الدنيا ، أو العذاب المحدود فى الآخرة ، بخلاف الخطأ فى الدين فأن عاقبته الشقاء الذى لا نهاية له !

فلينظر الأنسان منا الي جميع الأديان بمنظار العدل والأنصاف ، والي جميع عقائدها المتعلقة بالله وبخلقه من عبادات ومعلامات ، فما وافق عقله أخذ به وما خالفه نبذه ، لأن الله اجل من أن يشرع الدين الباطل

﴿ المحاضرة الاولى دعوى الوهية المسيح ﴾

يجب أن نتمشى فى مناظرتنا على شرطين أساسيين ، لنسلك سبيلا واضحاً نستطيع به أن نتوصل الى فائدة مقصودة وغاية منشودة ، مع نبذ التعصب من نفوسنا ظهرياً .

أولهما — أن الدليل اذا طرقه الاحتمال سقط به الاستدلال :
ثانيهما — اذا تعارض دليلان مثلا تساقطا وبطل الاستشهاد بهما :
وبعدئذ سألته قائلا مادليلك على الوهية المسيح ؟ فاجاب بستة اجوبة
الأول — وجوده بلاأب وكونه من روح الله كما نطق بذلك كتابكم « ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا » فالضمير من فيه راجع الى عيسى :
الثانى — ماورد فى الآية ٣٠ من الأصحاح ١٠ من انجيل يوحنا (انا والآب واحد . ومن رآني فقد رأى أبي)
الثالث — مافى الآية الأولى من الاصحاح الاول من انجيل يوحنا (فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عندالله ، وكانت الكلمة الله)
الرابع — مافى الآية ٢٣ من الاصحاح الاول من انجيل متى (العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا)
الخامس — ماظهر على يديه من الآيات كاحياء الموتى ، وابراء الأكمه والأبرص ، وذلك لايكون الامن الأله !
السادس — مافى انجيل يوحنا آية ٢٣ من الاصحاح ٨ (أنتم من اسفل اما أنا فمن فوق ، أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم) فهذا صريح فى الالوهية أيضاً :

قلت هذه أدلة واهية لاتذعن لها عقول الصبية ، ولا تقرها عقول الامهات ومقام الالوهية يجب أن يكون فى غاية الجلاء ، لاتعتوره شبهة ، واليكم بطلانها :
أما الاول ، فهـو معارض بآدم أبى البشر والملائكة ، بل وكثير من الحيوان والحشرات ، فكل يشارك المسيح فى كونه مخلوقا بلا أب ويزيده فى كونه بلا أم . وكذلك ملكي صادوق الكاهن الذي هو معاصر ابراهيم

عليه السلام ، حيث جاء فى الآية ٣ من الاصحاح ٧ للرسالة العبرانية هكذا « بلا أب بلا أم بلا نسب ، لا بداية أيام له ولا نهاية حياة) فيزيد على المسيح في كونه بلا أم ، وفى كونه لا بداية له ولا نهاية :

أليس من الواضح جدا عند ذوي العقول السليمة انه لما لم يلزم من عدم الاب والام البشريين لآدم عليه السلام أن يكون ابنا لله تعالي لم يلزم من عدم الأب لعيسى عليه السلام أن يكون ابنا لله تعالي بالطريق الأولي ؟! وكذا يقال في الكاهن المتقدم ! ثم دعوى ألوهية المسيح من حيث انه روح الله ترجيح على آدم بلا مرجح ، لانك لاتنكر ان الله نفخ فيه من روحه بعد أن سواه من طين ، فأي فرق بين النفختين ؟ وقد أوجبتم ألوهية المسيح من هذه الحيثية ، فلم لا توجبونها لادم أيضا ؟

واستدلالك عليها بقوله تعالى « ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا » مع جعل الضمير فى فيه راجعا الى عيسى باطل ، لان المراد بالروح جبريل واسناد النفخ الى الله من حيث انه الخالق والموجد ، ولأن الضمير في فيه ليس عائدا الى عيسى ، بل الى الفرج لانه المحدث عنه بدليل الآية الاخرى وهى « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها وابنها آية للعالمين » فكما لم يبعد خلق آدم من التراب بلا سبب لم يبعد خلق عيسى من الدم الذى كان يجتمع في رحم أمه كذلك !

وانما سمى المسيح روح الله وكلمته لانه أحيي به قلوب المؤمنين ، ولأنه مبلغ عنه . وليس معنى كونه روح الله وكلمته أنه ابنه حقيقة كما تزعم ، لاستحالة ذلك في جانب الله ، ولأن الروح تطلق على معان . تطلق بمعني التوفيق . وبمعني الوحي . وتطلق على جبريل أيضا ، فانه يقال له روح ، حيث ورد فى القرآن « أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح

منه » أي بتوفيق . وجاء أيضا « يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده » يعني الوحي . وأيضاً « فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا » يعني جبريل . وقال في حق آدم « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » يعني آدم ، فهذه الآية تدعو الى المساواة بين آدم والمسيح في أنهما من روح الله ، وتشير الى فضل آدم على المسيح بسجود الملائكة له .

فثبت مما قلناه أن كلا من عيسى وآدم آية مخالفة للسنن الكونية ، وان لامرجح بينهما ، فلو تتبصرون تمام التبصر وتنصفون جيد الانصاف لما فرقتم بينهما بعد هذه المقابلة والقياس الأولوى ؟ !

وأما الثاني ، فمن حيث الابوة والبنوة معارض بما في انجيل يوحنا الأصحاح ٢٠ آية ١٧ (اني أصعد الى أبي وأبيكم والهي والهكم) ، ومتى الاصحاح ٥ آية ٤٨ (فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل) ، وفيه أيضا اصحاح ٢٣ آية ٩ خطاباً لتلامذته (ولا تدعوا لكم أبا على الارض ، لان أباكم واحد الذي في السموات) ، وفيه أيضا الاصحاح ٥ الآية ٩ (طوبى لصانعي السلام ، لانهم أبناء الله يدعون) :

واما من حيث الاتحاد والحلول فهو معارض بما ورد في حق الحواريين في انجيل يوحنا الاصحاح ١٤ آية ٢٠ (في ذلك اليوم تعلمون اني أنا في أبي وأنتم في وأنا فيكم) . ولا شك ان حال الحال حال في محل الحال !!

فالاتحاد ونسبته البنوة الي الأبوة في هذه الآيات يجب أن يكون غير حقيقي ، والا لزم مساواة الحواريين له في جميع ذلك ، ويكون الاتحاد كناية عن شدة الطاعة ، فمعنى أنا وأبي واحد من أطاعني فقد أطاعه ، ومن عصاني فقد عصاه . وهذا شائع في المخاطبة ، اذ يقول الزعيم المطاع مثلا اني قد أقمت فلانا مقامي فانا وهو واحد ، فمن أطاعه فقد أطاعني

ومن عصاه فقد عصاني . وبرهاننا على صحة هذا المعنى مافى الاصحاح الاول من رسالة يوحنا الأولى الآية الخامسة) هذا هو الخبر الذي سمعناه ونخبركم به ان الله نور وليس فيه ظلمة البته ، ان قلنا ان لنا شركة معه نكذب ولسنا نعمل الحق ، ولكن ان سلكنا فى النور كماهو فى النور فلنا شركة بعضنا مع بعض)

وحمل الرؤيا والظرفية في قول السيد المسيح على ظاهرها باطل ، لان رؤية الله فى الدنيا ممتنعة باتفاق منا ومنكم . والمراد بالأب فى هذه الآيات وماشا كلها المالك والسيد والمربى وذو الحنان والأنعام ، وهذا لاينكره الا المبشرون المكابرون !!

ولو حمل على ظاهره لوجب أن يكون الحمل والولادة والصلب والقتل والاكل والشرب وغير ذلك من عوارض البشر جارياً على الأب ويلزم منه وصف الأله بعوارض البشر وهذا محال !

ولوجب أيضا أن يكون ابليس الها ، حيث ورد فى انجيل يوحنا من مكالمة السيد المسيح التى وقعت له مع اليهود آية ٤١ الاصحاح ٨ – استفهام توبيخي – (أنتم تعملون أعمال أبيكم ! فقالوا له اننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله ، فقال لهم يسوع ، لوكان الله أباكم لكنتم تحبونني ، لانى خرجت من قبل الله وأتيت ، لاني لم آت من نفسي ، بل ذاك أرسلني ، أنتم من أب هوا بليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا الخ) فيجب أن تكون أبوة الله والشيطان مجازية لا حقيقية . والمعنى نحن صالحون ومطيعون لأمر الله ، فرد عليهم بقوله أنتم طالحون ومطيعون للشيطان . ومما يساعد على هذا المعني قول يوحنا (انى أصعد الي أبي وأبيكم ، والهي والهكم) ، فان أخذتم الكلام على ظاهره لزمكم القول بألوهية الحواريين لما ذكر ، فلا بد من

التطبيق بحيث لاتثبت مخالفة للبراهين العقلية ولا يلزم منه محال . . .

ولا يصح أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي ، لان معناه الحقيقي من تولد من نطفة الابوين باتفاق جميع اللغات ، وهو محال ههنا ، فلابد من صرف اللفظ الي مجازه ليتناسب وشأن المسيح !

وأما الثالث فهو معارض بما فى انجيل يوحنا نفسه الاصحاح ٨ الآية ٤٠ (ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني ، وأنا انسان قد كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله) .

وبما فى الاصحاح ٢ الآية ٥ من رسالة تيموثاوس (لانه يوجد اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح) ، فاما ان تأول ما استدللت به أو يكون متناقضا ، فان العندية فى الفقرة توجب التغاير ، فكيف يقول بعد ذلك وكان الكلمة الله . فالاحسن أن تقدر مضافاً فى الاخير فكان الكلمة الله — أى أمر الله — والمعني فى البدء كان عيسى كلمة ، وبقوله تعالى كن كان ، فهو بأمره وقدرته وكلمته التى هى كن . .

وأما الرابع فهو معارض بما فى سفر الخروج الاصحاح ٧ الآية الاولى خطابا لموسى (انا جعلتك الها لفرعون ، وهرون أخوك يكون نبيك) .

وبما في انجيل يوحنا الاصحاح ٩ آية ٣٣ لما سألهم (لماذا تريدون رجمي ؟ ! : أجاب اليهود قائلين لسنا نرجمك لاجل عمل حسن ، بل لاجل تجديف ، فانك وأنت انسان تجعل نفسك آلها . أجابهم أليس مكتوبا فى ناموسكم أنا قلت انكم آلهة ؟ !) ومعنى العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه الله ، انها تلد ولداً يشرك باسمه قوم ، ويدعونه آلها مع الله ، وهو اخبار عن افترائكم على الله وشرككم به ! !

وأما الخامس ، فباطل لانه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول ، فاذا

جوزنا حلول الاله فى بدن عيسى فما المانع من حلوله فى بدنى وبدنك مثلا ؟
قال ظهور الايات على يد عيسي ، فقلت له أنت لم تفهم ما قلت من أنه لا يلزم من عـدم الدليل عـدم المدلول — أي لا يلزم من عـدم ظهور الآيات مني ومنك عدم صلاحيتنا لذلك ، فان الله تعالى قبل خلق العالم لم يقم عليه دليل ، فلم يلزم من عدم قيام الدليل عليه عدم وجوده . وان الها يحل فى أجسام مصنوعة لفى غاية الخسة والوضاعة ! !

ولأنه معارض بموسى عليه السلام ، فانه قلب العصا ثعبانا وفلق البحر فاذا كان المسيح أحيي الموتي وأبرأ الاكمه والابرص فموسي قد قلب العصا حية ، وقلب الجماد حياً أبعد فى العقل من اعادة الميت حياً ، لأن المشاكلة بين بدن الحي وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الحية وبين بدن الثعبان ، فاذا لم يوجب قلب العصا حية كون موسى الها فلا يوجب احياء الموتى ألوهية المسيح من باب أولي لما سمعت ؟ ! على انه ثبت ان الياس النبي واليسع كل منهما أحيا الموتى ، وكذلك حزقيال ، فاذا كان المسيح أحيي ثلاثة مثلا في جميع حياته فحزقيال أحيا ألوفا . . .

وأما السادس ، فهو معارض بقول المسيح نفسه لتلاميذه فى آية ١٩ الاصحاح ١٥ من انجيل يوحنا (لو كنتم من العالم لـكان العالم يحب خاصته ولـكن لانـكم لستم من العالم لذلك يبغضكم العالم) ، فلو كان هذا مستلزماً للالوهية كما تزعم لزم أن يكون الحواريون كلهم آلهة .

بل التأويل الصحيح لقول السيد المسيح السابق أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق الخ ، أنتم طالبو الدنيـا وأنا لست كذلك ، بل طالب الآخرة ورضاء الله . وهذا معني مجازي شائع على السنة العرب ، يقال للزهاد والصلحاء انهم ليسوا من الدنيـا ، لانقطاعهم عنها وتفرغهـم للعبادة وما يوصل الى

السعادة الابدية . على أنه ثبت ان عيسى كان عظيم الرغبة فى العبادة والتضرع لله ، والاله لا يعبد نفسه ولا الها آخر .

قال المبشر رداً على المعارضة الاولى لا يقال ان آدم مخالف للسنن الكونية لانها لم تسبقه . وأما عيسى فيقال فيه ذلك ، لانه مسبوق بها قطعاً .

قلت المخالفة لا يشترط فيها السبقية ، بل الغـرض وجود المخالفة سواء مع السبقية أم الاخرية . وعجز عن الرد على باقى الادلة الا انه ظهر الغيظ على وجهه فقال يا أستاذ لا تفسر أنا جيلنا حسب شهوتك وغايتك ، فاننا أعلم منك بها . قلت هذا التفسير هو المراد حسب قواعد اللغة، وأنا أعلم منكم بها !؟ وهو الذي يقتضيه البرهان العقلي الذى لا تصح مخالفته لعاقل من العقلاء .

وقد جاء فى انجيل برنابا الخص تلامذة المسيح ما يبطل دعاويكم المتقدمة هكذا (فانى بشر منظور وكتلة من طين تمشى على الأرض ، وفان كسائر البشر ، وان لي بداية وستكون لي نهاية، وانى لا أقدر أن ابتدع خلق ذبابه ! !) بقي ان أسائل حضرة القس اذا كان المسيح إلها على زعمكم فبمن كان يستنجد حين ان كان معلقاً على خشبة الصليب ، وهو يردد (آلهى آلهي لماذا تركتني ؟) فهل كان يستنجد بنفسه ؟ أوهناك آله آخر كان يستنجد به ؟ قال يا أستاذ أنت تؤمن بأن الفاتحة من القرآن ؟ فقلت نعم فقال هل الله تعالى فى قوله « اياك نعبد واياك نستعين » كان يخاطب نفسه ؟ أوهناك مخاطب غيره ؟ فقلت له ان هذه الآية نزلت من الله على محمد ليعلمنا اذا ماوقفنا بين يديه نعبده نخاطبه بها فهى مقولة على السنة العباد . فقال وعيسى قال ما تقدم ليعلمنا اذا ماوقع أحدنا في ضيق فليستنجد بغيره فلا فرق . . .

فقلت شتان بين المقامين ، فان هذا ليس مقام تعليم وارشاد ، بل مقام صلب وتعذيب! واما ذاك فمقام عبادة وتعظيم وتعليم . على ان الرجوع الى

الله فى وقت الشدة والالتجاء اليه اذ ذاك بديهي وفطرى يعرفه كل أحـد، فلا يحتاح الى تعليم ! !

همسة فى اذنك ياحضرة القس ، لوكان المسيح إلهاً كما تذكر فلمـاذا استسلم للرومان وصلب ولم يجاهد الجهاد العملي لتخليصهم من الظلم والاستبداد؟ واذا كان جاء لخلاص العالم اجمع كما تزعم فهل أثمرت دعوته ؟ فأين الذين خلصهم ، والتاريخ يقول ان قومـه لقوا بعد وفاته من انواع الذل والاضطهاد مالم يلق بشر ؟ !

وهل كان خلاص العالم بمحاكم التفتيش التى ارتكبت باسمه افظع وأروع المجازر الدموية ! أم كان خلاص العالم بالحروب الصليبيه التى قتل فيها الملايين من المسيحيين في سبيل شهوة الملوك والباباوات ؟ !

واذا كان يعني بالخلاص الخلاص من النار فهل ما تقدم ، وهل مانرى اليوم فى السياسة المسيحية الاستعمارية من الوان الغش وانواع المآثم يؤدى الي الجنة ؟ وهل ماعليه أبناء الملل الأخرى كالبراهمة الذين لا يعترفون بالمسيح يؤدى الى الجنة فى اعتقادكم ، أم اين خلاص العالم اجمع كما تقولون ؟

واذا لم تثمر دعوته ثمرها المطلوب فهل عجز عن ذلك واذا عجز فهل هو إله مع ذلك العجز ؟ وهل الأله يعجز عن تكملة مايريد ؟ !

واذا كان هو الرب الذى تعنونه بعينه هو الذى صارع يعقوب فى التوراة حتى الفجر ورجاه ان يتركه فهو حرى بالتـنزل الى سفاسف الأمور من مصارعة الأنبياء بغير سبب وجدوي،وهو حرى بالعجز وحاشا الله !

أم هو الأله الذى تحتسون الخمرة فى اعيادكم المقدسة على انها دمه،وتأكلون الخبز على انه لحمه أو كما ينص انجيلـكم ؟ !

وهل بلغ بكم احترامـكم لألهكم انـكم تأكلونه وتهضمونه ، ثم تذهبون

بمقاياه المقدسة الى خلوة (الكنيف) ! !

هذا هو المبدأ الحق ؟ أم هو سخف تسخر منه العقلاء ؟ !

وجملة القول انه قد تبين لنا غاية التبيان من نصوع هذه الأدلة ، ومن تضارب اناجيلكم بطلان دعواكم ألوهية المسيح !

بقي ان ندلل علي رسالته وانغماسه في ذل العبودية ، ويثبت ذلك ماتقدم من الأدلة ، ونزد عليه ماورد من قول المسيح للحواريين فى الأصحاح ١٠ الآية ٤٠ من انجيل متى (من يقبلكم يقبلنى ، ومن يقبلني يقبل الذى ارسلنى من يقبل نبياً باسم نبى فأجر نبى يأخذ)

وماورد فى انجيل لوقا الاصحاح ٤ آية ٢٤ (انه لم يقبل أحد من الانبياء فى وطنه فكيف يقبلوني ؟)

وماورد فى انجيل يوحنا الاصحاح ٦ آية ١٤ (فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا ان هذا هو بالحقيقة النبي الآتى الى العالم) . وحسبكم هذا من شهيد على انه مادعي غير النبوة المعلومة . وانى اردد قول الشاعر ،

ضل النصارى في المسيح واقسموا

لايهتدون الى الرشاد سبيلا

خبرونى معشر المبشرين هل تقولون هذا عنادا ؟ أم على قلوب أقفالها ؟!

فقال المبشر تأدب يا أستاذ اذا كنت تريد أن تناظرنا أو تتفهم الحقائق معنا فلا تجرح احساسنا ولاتحط من كرامة المسيح . فقلت هذا ليس حطا من شأن المسيح ، بل تنزيه له مما تلصقونه به وتنسبونه اليه ، وهو منه براء ، وعلى ذلك افترقنا

﴿ المحاضرة الثانية دعوى التثليث ﴾

ادعى القس فى محاضرته الثانية أن الأله مركب من أقانيم — أى

أصول — ثلاثة ، أب،وابن وروح قدس ، وأنها ممتازة بامتياز حقيقي ، وأن عيسى اله كامل وانسان كامل . واستدل عليها بما جاء في رسالة يوحنا الأولى (ثلاثة شهود في السماء الأب والابن والروح القدس)

فقلت انما استدللت به من كلام يوحنا لا نعبأ به ، لانه معارض بما في الاية ٣ من الاصحاح ١٧ من انجيل يوحنا نفسه في خطاب المسيح لله« وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الأله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته » وقال في الاصحاح الاول الآية ١٨ من يوحنا أيضاً (الله لم يره أحد قط)

فانظر كيف بين أن الحياة الابدية عبارة عن معرفة الناس ان الله واحد حقيقي ، وانه لا يمكن أن يراه أحد قط ، وأن عيسى رسول الله . ولم يقل ان الحياة الابدية أن يعرفوا ان ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي ، وأن عيسى اله كامل وانسان كامل مجسم يري كما تدعى ! ولو كان اعتقاد التثليث له أصل ومدخل في النجاة لأعرب عنه ، فعدم تعرض المسيح له برهان ناصع ودليل صارخ على أنه ليس من الامور الاعتقادية التي يجب الايمان بها . فحيث ثبت أن الحياة الابدية اعتقاد التوحيد الحقيقي لله ، واعتقاد الرسالة والعبودية للمسيح فضدهما يكون موتا أبديا وضلالا مبيناً!

والتوحيد الحقيقي على الضد من التثليث الحقيقي ، فحيثما وجد التثليث الحقيقي لابد أن توجد الكثرة الحقيقية أيضا ، لان العدد لما كان قسما من الكم لم يكن قائما بنفسه بل بالغير . وكل موجود لا يخلو الحال اما أن يتصف بالوحدة أو الكثرة ، والذوات الموجودة الممتازة بالامتياز الحقيقي تكون معروضة للكثرة الحقيقية ، فاذا اتصفت بالكثرة لا تتصف بالوحدة والا لزم اجتماع الضدين وهو ممتنع . كيف وان الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح والثلاثة لها ثلث صحيح وهو واحد وهي مجموع آحاد صحيحة . ودعوي

حضرة القس التثليث مخالفة لقواعد الحساب البديهية ، لانها ناطقة بأن الثلاثة في واحد بثلاثة ، لا بواحد :

جعلوا الثلاثة واحدا لو أنصفوا * لم يجعلوا العدد الكثير قليلا!

ولو وجد في ذات الله ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقى كما تزعم لزم أن يكون كل الهاً برأسه ، مع كون كل شديد الافتقار الي غيره ، والالزم أن لا يتألف منهم ذات واحدة علي زعمك واذا ثبت التركيب ثبت الافتقار ، هوو نقصان ، والنقص ينافى الألوهية ، والألوهية توجب الوحدة ولا تستقيم مع التعدد ، والامتياز يناقض الافتقار !

ومعارض أيضا بما فى انجيل مرقس الاصحاح ١٢ آية ٢٨ من وصايا السيد المسيح (إن أول الوصايا اسمع يااسرائيل الرب الهنا رب واحد) . فانظر كيف أن المسيح نفسه اعتقد الوحدانية لله وأمر بها فى وصاياه ، و بين أنه لااله الا اله واحد ، ولم يقل ان أول الوصايا الرب ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي كما تعتقدون ؟ !

و بما فى انجيل مرقس أيضاً الاصحاح ١٣ آية ٣٢ (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن الا الأب وحده) . فهذه الفقرة تنادى ببطلان التثليث ، لأن المسيح خصص علم القيامة بالله ونفي عن نفسه ، كما أنه نفي عن غيره من الناس والملائكة وسوى بينه و بينهم فى عدم العلم . ولا يمكن هذا فى صورة ما اذ كان الهاً ، فلو كان الأله حالا فيه وان الله مركب من الثلاثة كما تزعم ، فلا أقل من أن يكون علم الابن كعلم الأب !

و بما فى رسالة تيموثاوس الاصحاح ٢ الآية ٥ (لانه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح) . و بما فى يوحنا

الاصحاح ١٤ آية ٢٨ (لوكنتم تحبونني لكنتم تفرحون ، لانى قلت أمضى الى الأب ، لان أبي أعظم منى)

وبما في كتاب الاستثناء عن الله (لتعلم أن الرب هو الله وليس غيره) . وفى كتاب أشعياء (أناهو الرب وليس غيرى وليس دوني إله شددتك ولم تعرفني . ليعلم الذين هم من مشرق الشمس والذين هم من مغربها انه ليس غيرى أنا الرب وليس آخر) وفي الاصحاح ٤٦ الآية ٩ من كتاب أشعياء (إنى أنا الله وليس غيرى اله ، وليس لى شبه) وبما فى انجيل متي الاصحاح ١٩ آية ١٦ ، لما سأله أحد تلاميذه قائلا « أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ، فقال له لماذا تدعونى صالحا ليس أحد صالحاً الا واحد وهو الله) فهذا أيضاً يبطل دعوى التثليث ، فلوكان المسيح إلهاً لبين أننى لست صالحاً وحدي بل مع الأب وروح القدس ، فاذا كان لم يرض لنفسه أن يكون صالحا ، فكيف يرضى بدعوي الالوهيـة ؟ !

قال القس كل ذلك تواضع منه . فقلت كلا ، بل انما يفعل وينطق بما أمر به مما كانت الحاجة شديدة الى بيانه . على أن التواضع لايليق بالأله مع عبيده الضعفاء . واذا كان التواضع من أخص صفات العبودية ، فالكبرياء من أخص صفات الألوهية :

ثم أسائل القس بأنه هل الاقانيم الثلاثة التي تدعى تركيب الأله منها ذوات أوصفات أوأسماء لامسميات لها ؟ فان قلت ذوات لزم وجود ثلاثة آلهة لاواحد على دعوي الامتياز الحقيقي . قال لايلزم ، فهاهى الشمس ذات أجزاء ثلاثة . حرارة . وضياء . وجرم وهو الاصل ، ومع ذلك فهي واحدة .

قلت ان ثلاثة الشمس ليست كلها ذوات ، بل الضياء والحرارة عرضان ، ومع ذلك فليس الامتياز حقيقيا بينهـا ، كما فى الاقانيم ، ففرق شاسع بين

عقيدتكم وهذه .

وان قلت صفات فلم خصت هذه الصفات الثلاثة بجعلها إلها دون سائر الصفات ؟ وكيف يعقل أن تكون الصفات إلها مع الذوات أو وحدها ؟!

وان قلت أسماء لا مسميات لها فهو محض سفسطة ودعوى لا برهان عليها ، وهي بعد ، تنازل منكم عن كل ما تقولون وما تدعون !

وهل ذلك الا إعتراف بالعدم الذى لا حقيقة له ولا وجود !

على أن هذه العقيدة ما كانت فى أمة من الامم الغابرة من عهد آدم الى عهد موسي عليهما السلام ، ولم تثبت فى شريعة موسي أصلا . وقد حقق العلماء أنها مأخوذة من عقيدة مجوسى الهنود ، وألفت مؤلفات وكتب فى بيان منابع المسيحية ، منها كتاب للخوجه كمال الدين ظهر فى هذه الايام وسبقه غيره ، فثبت أن لا أصل لهذه العقيدة وانها عقيدة مبتدعة !

وجملة القول اننا لا نستطيع أن نصدقكم فى هذه الفرية ، مع نصوع الادلة ووضوح البراهين العقلية والنقلية على بطلانها وعلى أن المسيح انسان مربوب لله ، كما شهد هو لنفسه عليه السلام بأنه عبد منغمس فى ذل العبودية ، كما جاء فى انجيل مرقس الاصحاح ١٢ آية ٢٩ (الرب الهنا رب واحـد) وكما قلنا غير مرة ، فمن أين جاءتكم هذه الفرية ، ومن الذي أخبركم بأن المسيح إله وأقواله الصريحة تباينها ؟ !

بقى أن أسائل حضرة القس ثانية بأنه ما معنى اتحاد اللاهوت ـ الأله ـ فى الناسوت ـ الجسم الأنسانى ـ ؟

قال ظهور الكلمة على جسد عيسى كظهور الصورة فى المرآة ، وكان حاضراً لهذه المناظرة الدكتور زويمر امام المبشرين ! فقال امتزاج كامتزاج اللبن بالماء . وقال آخر مثلها كمثل الحديدة اذا حميت بالنار .

فقلت كل باطل ، لأن الصورة المرئية في المرآة في الأول لم تنتقل ذاتها الى المرآة لا اختلاطاً ولا مجاررة ، وانما ينظر الانسان صورته فيها لأن النور ينعكس عليه فيرى صورته فى المرآة لصقالتها فهى عرض زائل.

ولأن الامتزاج فى الثانى انما يكون بين جسمين ، فاذا قلتم بأن اللاهوتية والناسوتية جسمان اما أن تكون اللاهوتية حلت فى الناسوتية بكليتها أوحل فيها بعض من أبعاضها ، وكل منهما باطل لأن اللاهوتية ان كانت جسماً فحينئذ يكون حلولها فى الناسوتية عبارة عن اختلاط اجزائها باجزاء الناسوتية، وذلك يوجب التفرق فى أجزاء اللاهوتية . وان كانت عرضاً كانت محتاجة الى محل تقوم به وكان الأله محتاجا الى غيره وكل ذلك سخف وضلال مبين !!

واذا حل جزء من أجزائها فاما أن يكون غير معتبر أو معتبرا ، فان لم يكن معتبرا لم يكن جزءا من اللاهوتية ، وان كان معتبرا فيها فعند انفصاله عنها يجب أن تكون ناقصة لان الجزء معتبر فيها ، فيكون الأله ناقصا وحاشا الله ، فثبت فساد هذه العقيدة . ولان الحرارة الداخلة على الحديدة في الثالث عرض كان بواسطة مجاورة النار فقط .

ويلزم على دعوى الاتحاد أحد أمور ثلاثة ، اما أن ينقلب القديم حادثا، أو الحادث قديما ، أو يبقي كل واحد على حاله . ومن المحال أن ينقلب القديم حادثا أو الحادث قديما ! فان الحقائق لا تنقلب ، ولان حقائقهما متباينة ، فان حقيقة القديم ما ليس لوجوده بداية ، وحقيقة الحادث ما وجد بعد عدم ، فلا يبقى الا أن يكون كل واحد على حاله ، فلا معني للاتحاد ، فلا يكون المسيح إلها ولا بعضاً له !

ولو كان لاتحاد اللاهوت بالناسوت معني ، اما أن يكون واجبا أو جائزا ، فان كان واجبا لزم قدم الناسوت ، وان كان جائزا لزم حدوث اللاهوت

ولا قائل بذلك . كما أنه اما يكون كمالا أو نقصاً ، فان كان نقصا فقد وصفت الاله بالنقص وهو منزه عنه ، وان كان كمالا لزم أن يكون الاتحاد موجوداً فى الأزل ، مع ان الناسوت حادث باتفاق ، إلا أن تقول ان الأله كان ناقصاً طوال هذه المدة وكمل على زعمك بعيسى !!

قال المبشر(١) يا أستاذ لا تقل كيف هذا الاتحاد و يلزم عليه كذا لأن الله فوق الكيف ! فقلت نعم ، ولكن هل عندك جواب عن كل ذلك ؟ فقال جوا ، أن الله فوق الكيف . فقلت لم تقتصر على ذلك ، حتى جعلته ذاتا وجسدا كسائر الحوادث ! وأثبت له الكيف وما فوق الكيف ! وعلى ذلك افترقنا .

﴿ المحاضرة الثالثة دعوى الصلب والتعذيب ﴾

ادعي القس في محاضرته الثالثة صلب المسيح وتعذيبه ، وقرر بأن سبب ذلك أنه لما عصي آدم ربه بالأكل من الشجرة التى نهاه عنها رأي أنه ان عاقبه على ما فرط منه لا يكون رحيما ، وان عفى عنه لا يكون عادلا . فبقي غاضبا عليه حتي ولد لنفسه يسوع المسيح ، وقبل الجسم الانساني وما يعرض له ، وأن يدخل الجحيم فقدمه ضحية لتكفير خطايا آدم وذريته التى تطرق اليها الجرم بسببه ، ليجمع بين العدل والرحمة .

فقلت له يفهم من خلال كلامك أن الله لما خلق آدم وعصاه وقع فى مشكل عظيم ، وهو أنه ان عاقبه لا يكون رحيما ، وان عفا عنه لا يكون عادلا ففكر فى أنه كيف يمكنه أن يصل الى نتيجة تجمع بينهما ، حتي اهتدى بعد مرور ألوف الاعوام الكثيرة التى كانت بين آدم والمسيح لان يتخذ المعصوم من ذنب آدم وهو المسيح ولداً ، فيعذبه بعذاب الصلب ودخول الجحيم ، وقبول اللعن بما قد قال فى الانجيل (ملعون ملعون من تعلق بالخشبة) ،

---

(١) اذا أطلق المبشر فى كلامنا فالمراد به الدكتور كامل منصور

لاجل انقاذ آدم وذريته من تلك الخطيئة التى لحقت به وبهم ، وبذلك جمع بين العدل والرحمة .

ولكن الذى أراه أن الرب فقد كلتى الصفتين ، حيث إنه عفى عن المذنب وعاقب البرىء ، فلم يتم له نتيجة المقدمات التى فكر فيها منذ أمد بعيد !

ولا يمكن أن يقبل هذا من كان يؤمن بالدليل العقلي أن خالق العالم لابد أن يكون بكل شيء عليما وفى صنعه حكيما ، لانه يستلزم الجهل والبداءة على الله تعالى . كأنه حين خلق آدم ما كان يعلم مايكون عليه أمره . وحين عصاه ما كان يعلم ما يقتضيه العدل والرحمة فى شأنه ، حتى اهتدي الى ذلك بعد ألوف من السنين مرت على خلقه كان فيها جاهلا أنه كيف يجمع بين تينك الصفتين من صفاته ، وواقعا فى ورطة التناقض بينهما !

ولكن قد يقبله حضرة القس تقليدا لكتابه (سفر التكوين) الاصحاح ٦ الآية ٦ (فندم الرب على أنه عمل الانسان فى الارض وتأسف فى قلبه) تعالى الله عن هذه المخازى والنقائص !

ولا يعقل أيضاً أن يكون الموت الصليبي كفارة لخطيئة آدم وذريته ، لان المراد بهذا الذنب على زعمك الذنب الاصلى الذي صدر عن آدم عليه السلام ، لا الذنب الذي يصدر عن أولاده . ولا يجوز أن يعاقب أولاده على هذا الذنب الاصلي ، لان الابناء لا يؤاخذون بذنوب الآباء ولا العكس ، بل هو خلاف العدل لما ورد فى الاصحاح ١٢ الآية ٢٠ من كتاب حزقيال مانصه (النفس التى تخطيء فهى تموت ، والابن لا يحمل اثم الاب ، والاب لا يحمل اثم الابن ، وعدل العادل يكون عليه ، ونفاق المنافق يكون عليه) كما لا يعقل أن عيسي جاء ليكفر خطيئة آدم ، لان آدم لم يرتكب خطيئة شرعية يستحق عليها العقاب وتتطلب التكفير ، حيث ان الذنب وقع منه فى

الجنة قبل ارساله ، والجنة ليست دار تكليف ومجازاة .

عجبي منكم معشر المسيحيين وخصوصاً المبشرين تارة تغالون في شأن المسيح فتعتقدونه إلها ، وتارة تفرطون في شأنه فتعتقدون أنه صلب ولعن ومات ودخل جهنم وأقام فيها ثلاثة أيام !

و بعدئذ سألته هل لهذه العقيدة تدليل نقلي أو عقلي ؟ فقال انها غير محتاجة الى الدليل . فقلت

والدعاوي مالم تقيموا عليها * بينات أبناؤها أدعياء

فقال ، الدليل قوله في قرآنكم « اني متوفيك ورافعك إلي » فانه ظاهر في موته في الارض ، وهو كناية عن الصلب . . . قلت ، التوفية في الآية لاتدل على الصلب والتعذيب ، لانها تطلق في اللغة على الاخذ وهو الرفع وعلى استيفاء الحق من الدنيا ، وهما المرادان في الآية بدليل الآية الاخرى وهي « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » قال هذه الآية لا تدل على عدم الصلب ، لعدم المرجع للضمير في المقام . قلت ، المرجع معلوم من قوله في صدر الآية « وقولهم انا قتلنا المسيح » . قال هذه الاية معارضة بقوله « وما قتلوه يقينا » في الأخرى ، فان المعنى « وماقتلوه قتلا يقينيا » أي مؤبدا بل قتلا مؤقتاً .

قلت هذا المعنى باطل ، بل المراد وما قتلوه حال كونهم متيقنين أنه هو . و يؤيد هذا ماجاء في انجيل يوحنا في الاصحاح ١٨ الآية ٥ : أن يسوع المسيح كان مع تلاميذه في البستان فجاء اليهود في طلبه فخرج اليهم وقال من تريدون ؟ قالوا يسوع ، وقد أخفى شخصه عنهم ففعل ذلك مرتين : وفي انجيل متي الاصحاح ٢٦ آية ٣١ (بينما التلاميذ يأكلون الطعام مع يسوع قال كلكم تشكون في ، في هذه الليلة . الى أن قال فأجاب بطرس وقال له وان

شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً ، قال له يسوع الحق أقول لك انك فى هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرني ثلاث مرات) ، ولذلك قال القرآن « وان الذين اختلفوا فيــه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن » وفى انجيل متى فى اصحاح ٢٧ آية ٣٤ (ان المصلوب استسقي اليهود فأعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب ، ولمـا ذاق لم يرد أن يشرب ، فنادى إلهي إلهى لم خذلتني ؟) فبربكم لوقدم نفسه فداء كما تزعمون لمـاذا يبكي ؟ هل هناك أحد أجبره على أن ينزل من السماء ؟ على أنه لو نزل باعتباره إلها الى الارض لاجل الصلب لانبأت عنه التوراة والانجيل ، كيف لا ، وزعيم الامة مثلا اذا خرج من بيته حفته الجرائد وزفته ، فكيف برب الارباب وملك الملوك على ما تزعم ؟ !

وجاء فى انجيل برنابا أخص تلامذة المسيح ـ من وصايا السيد المسيح له (وأعلم يا برنابا أن الذنب وان كان صغيرا يجزى الله عليه ، لان الله غير راض عن الذنب . ولمـا أحبتنى أمى وتلاميذي لاجل الدنيا سخط الله لاجل هذا الامر ، وأراد باقتضاء عدله أن يجزيهم فى هذا العالم على هذه العقيــدة الغـير اللائقة ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنم ولا يكون لهم أذية هناك . واني وان كنت بريئا لكن بعض الناس لما قالوا فى حقي أنه الله وابن الله كره الله هذا القول ، واقتضت مشيئته بان لا تضحك الشياطين يوم القيامة علي ولا يستهزؤن بي ، فاستحسن بمقتضي لطفه ورحمته ان يكون الضحك والاستهزاء فى الدنيا بسبب موت يهوذا ، و يظن كل شخص انى صلبت ، ولكن هذه الاهانة والاستهزاء يبقيان الى ان يجئ محمد رسول الله ، فاذا جاء فى الدنيا ينبه كل مؤمن على هذا الغلط ، وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس) ألم يكن كل ذلك دليل الشبه ؟! عجبا منه انه المنتقم والمنتقم منه والحقود

والمحقود وعليه ، وانه الظالم ياخذ نفسا بذنب غيرها ، وهو المظلوم لأنه صلب بذنب غيره ! سبحانك هذا بهتان عظيم !!!:

همسة في أذنك ياحضرة القس لاسمعك ماقاله (ادمون ديمولان) فى كتابه روح الاجتماع : بقي العالم قرونا وهو لايفقه تلك الخرافة الرائعة القائلة بأن إلها اذاق ابنه عذاب الهون ممن عصاه من خلقه . وقال جان كلارك ان إله بنى اسرائيل هذا ليس قاتلا ظالما كذابا احمق مضلا فقط ، بل هو نار محرقة الى ان قال .اذا لم ينج ابنه الوحيد فمن يرجو منه الرحمة واللطف — وهذا الأله الذى تحكم هذه الكتب انه إله ليس بقابل أن يعتمد عليه بل شئ غير محقق جامع للاضداد والأوهام مضل انبياءه ....

قال القس قولك بالقاء الشبه يفضى الى الشك فى الحقائق ، لأننا اذا جوزنا القاء شبه عيسى على غيره قضى هذا بأنه اذا رأي أحدنا ولده لم يثق بأنه هو ، لاحتمال أن يكون غيره بالقاء الشبه عليه ، بل القول بالقاء الشبه يوجب الشك فى جميع الأشياء ، فاذن القول بالشبه محال .

قلت لامحال لأن الله قادر على كل شيء ، فلما كان عيسى رسول الله وناوأه أعداؤه أراد أن يخلصه من كيدهم بالقاء الشبه على غيره ، ولأن خرق العادة فى زمن الانبياء لايوجب الشك فى الحقائق ، كما أن الأحتمالات العقلية الجائزة كذلك ، فليس كل ماهو جائز واقعاً .

واذا كان قد خرج بعد ثلاثة أيام من صلبه ودفنه فمن احياه ؟ هل احيي نفسه ؟ أو أحياه أبوه وهو شقة الآخر ؟

وكل باطل ، لأن الفرض انه جزؤ من ثلاثة على زعمك ، فلا عمل له منفرداً . ولو أمكن هذا يلزم عليه أن يرجع بفدائه ! وأحياؤه هو نفسه باطل أيضاً لأن الميت لا يكون حياً ، ولأنه لو كان قادراً

على احياء نفسه أو على شيء آخر لدفع عن ذاته الضر من باديء الامر .

ثم قتلهم اياه لايخلو الحال . اماأن يكون قهرا فيلزم عليه عجزه وعجز أبيه ، ويكون قاتله وهم اليهود أولى بالألوهية ! وان كان باختياره لزم أن تكون اليهود من أهل الجنة لانهم فعلوا مايرضى الإله ! مع انكم لاتسلمون هذا .

واذا كان قدم نفسه فداء عن البشر لتكفير خطاياهم فقتله اليهود فلماذا عاديتموهم وتدعون انهم كفار ؟ ولماذا خص اليهود بقتله مع أنكم أولي : ولماذا كان يتوجع ويتألم ، وكان حزينا كئيبا يتهرب من مكان الى مكان حين بلغه انهم سيقتلونه ، كما فى الاصحاح ٢٦ أية ٣٨ من متي خطابا لتلاميذه (نفسى حزينة جدا حتى الموت امكثوا هنا واسهروا معى . ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلى قائلا ياأبتاه ان امكن فلتعبر عني هذه الكأس . ولكن ليس كما أريد أنا ، بل كما تريد أنت) . وقال فى الاصحاح نفسه آية ٢٤ (ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الأنسان . كان خيرا لذلك الرجل لولم يولد) . أقول ولماذا مع انه تسبب فى نجاة الأنسانية الخاطئة ، وفعل مالابد منه على زعمكم ؟!

قال كل ذلك لغرض ومصلحة . وهى أن يخلصنا من عذاب النار . قلت هذا كلام لامعنى له . بل هو إله أحمق ! حيث انه عاقب ابنه بعذاب الصلب لاجل عبد من عبيده خالف أمره ! فهل ترون ان قتله ولده يشفي نفسه من ذلك ؟ أو يكون زائداً فى كربه وداعياً الى دوام حزنه ؟! وانى لاتعجب جداً أن العاقل كيف يليق به أن يتفوه بهذه المقالة مع اعتقاده صحتها وبداهة العقل شاهدة بفسادها !

فثبت مما قلناه انه لم يتم للرب ماأراده من العدل والرحمة ببني آدم . وان

هذه العقيدة غير معقولة المعنى . وغير لائقة بجلال الله وعظمته وتنزهه عن كل نقص . وان التكفير لم يكن لآدم وذريته . لأن الأبناء لايؤاخذون بجرم الاباء كما سمعت . وان لا أصل لهذه العقيدة قطعاً . على أننا لوسلمناها جدلا لماذا تكلفون أنفسكم بفتح هذه الجمعيات التبشيرية اذا كانت ذنوب آدم وذريته كفرها المسيح بصلبه وتعذيبه على زعمكم ؟ قال بعد سكتة طويلة . لأجل الإيمان بألوهية المسيح . فقلت قد أبطلناها فى المناظرات السابقة فافهم .

فقام اذ ذاك استاذ بهائى لااذكر اسمه يحوم على أن يجعل الخلاف لفظياً بيننا وبين المسيحيين . فقال : وعندى أن الخلاف لفظى بينكما . فان معنى قول النصارى بصلب المسيح صلب الجسم فقط خالياً من الروح . ومعنى قول القرآن وما قتلوه وما صلبوه . أى وما صلبوا روحه .

فقلت : هذا الجمع لايسلمه الا كل غبي جهول أو مكابر . لاننا نعلم بالبداهة من القواعد المقررة المشهورة ان نفى الشئ فرع ثبوته أو فرع توهم ثبوته . والروح لايتوهم صلبها حتى ينص عليها القرآن بنفي الصلب والتعذيب . لانها من الامور المعنوية التى لاتدرك ... ولا يمكن أن يكون الصلب للجسم فقط خالياً من الروح . لما هو مقرر عند علماء النفس ان الروح تتألم بتألم الجسم .

فبربكم أيها العقلاء ! لوأن انسانا نشأ ببعض الجزائر لايعرف الأديان ولا يخالط نوع الانسان . فقيل له ان لك ربا خلقك وابدعك . وهو رجل مثلك يغوط . ويبول . ويمخط . ويبصق . ويجوع ويعطش . ويعرى . ويكسى . ويسهر . وينام . ويتنازع من ايلام الكلام . وان انسانا مثلك أبغضه فضربه وسجنه ثم صلبه وقتله بعد أن حطم شعره ولطم نحره

فجاور الاموات وتعذرت عليه الحياة لااستنكف عقله السليم وطبعه المستقيم الاعتراف بهذا الأله . وأنف أن يكون عبداله ؟ ورأي نفسه أفضل منه لسلامته عن بعض هذه الآفات . وهو الصلب والتعذيب ! فانقلبت الاغلبية من المسيحيين معي يؤيدوننى ، فغضب القس وقال يا أستاذ ليس هذا محل مناظرة وانما هو محل تبشير وارشاد. فاذا أحببت المناظرة فأتنا فى الدور الثانى لهذا المنزل من الساعة الرابعة الى السادسة مساء ونحن نناظرك . ومنعونى من أن أكمل الرد عليهم . وأخذ يقول انت تطعن فى المسيح والمسيحية علي منبرهم . وأخذ يحط من كرامة الدين الأسلامى . وانه انما نشأ بالسيف . وأن محمدا كان يحمل الأفراد والجماعات على اعتناقه بدون أن يفهموا له معني . . . .

قلت : كلا انما أريد أن ابرأ المسيح من العيوب التى تلصقونها به . والتى تحيلها العقول السليمة . . .

انا نعتقد نحن معاشر المسلمين فى المسيح بأنه روح الله وكلمته ورسوله الى بنى اسرائيل ، بعث مصدقا لما بين يديه من التوراة . وجاءهم بدين فيه هدي لهم ورشاد فى شؤن معاشهم ومعادهم . وفيه حثهم على عبادة الله والاقرار له بالوحدانية . وتنزيهه عن كل نقص . وبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم . فاذا جاء شيء فى الاناجيل مما ظاهره يخالف هذا وجب تأويله . حيث ان الأناجيل مملوءة بالمجازات . وقد رددت عليه ما ألصقه بالدين الاسلامى . وسننشره فى مقال آخر ان شاء الله تعالي

دعوى انتشار الأسلام بالسيف

— تابع المحاضرة الثالثة —

سبق أن أشرنا فى الرد على محاضرة القس الثالثة الى حملته حملة شعواء على

الأسـلام بدعوى انه انتشر بالسيف . وقت أن أحس بضيق فى الصـدر ووخز فى الحشا من جراء عجزه عن رد الزامنا له بالحجة الناصعة . والبراهين الساطعة عبودية المسيح و براءته ممـا ألصـقه به من الصلب والتعذيب ، وعدنا القراء بالأطلاع عليها وعلى مصادمتها . وها هى ذى فيما يلي .

أدعى القس بعـد الرد على محاضرته الثالثة أن الدين الاسلامى انمـا تـكون باجبار الأفراد والجماعات على اعتناقه . وانه دين جهادى مبـدؤه القهر والغلبـة على مخالفيه . وطبيعته روح الشدة على غير معتنقيه . خـلافا لطبيعة الشريعة المسـيحية الا وهى شريعـة المسالمة التى تقضى بالصـبر واحتمال الأذى ممن يباينها . فقد ورد فيها (من لطمك على خدك الأيمن فحول له خـدك الأيسر . من سخرك ميلا فرمعه ميلين) الي غير ذلك بل أوصت بمحبة العدو لعدوه . ولم تقتصر على محبة الصديق لصديقه .

قلت : ان كنت تعني بالمبدأ الابتداء فابتداء ديننا ليس كما تذكر . بل كان باللين والرفق والمقارعة بالحجة . و المناضلة بالبرهان والمسامحة والعفو كما نطق بذلك قرآ ننا « أدع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسـنة وجادلهم بالتي هى أحسن » « وخـذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » . وانمـا كان القتـل والدفاع ذيالك الوقت لحماية الدعوى ورد كيد المخالفين للاسلام وأهله لاجل الأمن من شرورهم والسـلامة من غوائلهـم . ولم يكن ذلك للأكراه على اعتناق الأسـلام والانتقام من مخالفيه ، فقد نطق القرآن بضد هـذا حيث قال » لا اكراه فى الدين قد تبين الرشـد من الغى . فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسـك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم » . و « لكم دينكم ولى دين »

وقال أيضا « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر . إنا اعتدنا للظالمين ناراً »

أجل ، وان الاسلام قد انتشر فى مدينة يثرب مع قلة أهله وتحملهم للعذاب والأضطهاد من أهالى مكة . ولولا احقية هذا الدين الحنيفى لما نفذ مسافة عشرات الأيام ، وآمنت به البلاد باسرها ودعاة الدين فى ضيق وضنك لاحول لهم ولا قوة ! ولهذا لم يحصل في تاريخ الفتوح الاسلامية اكثر مما حصل في الحروب المسيحية عند ماتمكن ارباب شريعة المسالمة من محاربة غيرهم من قتل النساء والولدان والشيوخ ! ولم تقع مناوأة من المسلمين لغيرهم بقصد الأبادة كما وقع فى الحروب المسيحية السلمية بهذا القصد ، وكما هو مشاهد اليوم !

وليست مقابلة العدوان بمثله عند القدرة وعدم التمكن من سواها من خصوصيات الاسلام ، بل هى في قبضة كل قادر عليها معذور على اسدائها !

لقد غفلت ياحضرة القس ، أوتغافلت عما كتبه مؤرخوكم وغيرهم من أن انتشار دينكم انما كان باسباب القتال مع اليهود ، وكنتم تحرقونهم بالنيران ، وتغرقونهم فى البحار ، وتعملون فيهم جميع انواع الذل والاضطهاد . وقبل ذلك كادت اليهود أنلا تبقى لكم أثرا ، فان الدولة كانت لهم وقدقتلوا على زعمكم الهكم بزعمكم ، ولم يتركوا بعده اكثر من اثنى عشر حواريا وسبعين مبشرا هار بين خائفين ولوظهرأحد منهم لقتل شر قتله! فأين نواميس شريعتكم شريعة المسالمة ؟ !

الأسلام الذى ترميه ياحضرة القس بما هو منه براء كان يكتفى من مخالفيه باتباعه ودخوله تحت ردائه ، ثم دفع الجزية ، فاذا ما أدوها تركهم

وما يعبدون من الحجارة والتماثيل احرارا لا يضامون ، وحافظ عليهم وعلى كرامتهم ، وصانهم وأمنهم فى عقر داره !!

نظرة فى التاريخ وهو خير شاهد على أن رؤساء المسلمين فى العصور الأول كانوا يوصون القواد باحترام العباد والزهاد الذين تفرغوا للعبادة فى صوامعهم ومعابدهم ، كما كانوا يوجبون عليهم احترام الولدان والنساء ، فقد قال محمد صلي الله عليه وسلم تقريراً لحقوق الذميين على المسلمين « لهم مالنا وعليهم ماعلينا » وقال أيضا « من آذى ذمياً فليس منا » . أليس هذا أحسن حالا من سوء معاملة الدولة المسيحية الأستعمارية اليوم التي فتكت بالشرق حتي خنقته فى عالم الأنسانية ، ولم تجعل له حظا فى الحياة تحت الشمس ، ولم تدع صغيرة ولا كبيرة من ضروب المظالم التي اسود لها لباس الأنسانية وتمزق لحدوثها شمل البشرية ، والتي لايحتملها الصبر مهما كان الا ووضعتها فى عنقه وحملته أوزارها ؟

اليس قول ديننا وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الي) باحسن حالا من دينكم القائل (لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما بل سيفا ، فانى جئت لافرق الانسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماتها ؟ !)

وان كنت تعني بالمبدأ الخطة والطريقة فالأكراه على الحق لا يعدا كراهاً فانه لم يقاتل ولم يكره الا بعد أن وضحت حقيقته لذي عينين ، من أنه الدين السماوي الذى يكفل لأبنائه السعادة الأبدية ، ولمخالفيه الشقاوة السرمدية ولم يؤمن به أو يدفع الجزية ، فالأكراه انما كان ثالث المراتب . ولم ينزل قوله تعالى « يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » الا بعد أن برزت حقيقته للانام وخالط عدله وصدقه القلوب ، ووقف فى طريقه

المعاندون عقبة كؤدة فرأى أنه من الحكمة بترهم وابادتهم عن بكرة أبيهم، وتقليم اظفارهم لانهم كالعضو الفاسد !

فلو فرضنا ان انسانا مسيحيا مثلا أكره على اعتناق الاسلام فاعتنقه عن دراية واطمئنان ، فلا يقال انه مكره لأن الاعتقاد من الامور الباطنية الخفية التي لاتعلم حقائقها ، فكيف يتأتي فيها الاكراه ؟!

كيف تجاسرت على أن تطعن الاسلام فى صميمه وقد شهدت له فلاسفتكم ، والفضل ماشهدت به الأعداء !؟ واليك ماقالوا . قال فيلسوف أوروبا كارليل فى خطبة له :

ولقد قيل كثيرا فى شأن نشر محمد دينه بالسيف ، فاذا جعل الناس ذلك دليلا على كذبه فشد ماأخطأوا وجاروا ، فهم يقولون ما كان الدين لينتشر لولا السيف، ولكن ماهو الذى أوجد السيف ؟ هو قوة ذلك الدين، وانه حق ؟ والرأى الجديد أول ماينشأ يكون فى رأس رجل واحد ،فالذي يعتقده هو أنه فرد، فرد دون العالم اجمع ، فاذا تناول هذا الفرد سيفاً وقام في وجه الدنيا فقلما والله يصنع شيئاً ، وأري على العموم أن الحق ينشر نفسه باية طريقة حسبما تقتضيه الحالة . أولم تروا أن النصرانية كانت لاتأنف أن تستخدم السيف أحيانا ؟ وحسبكم مافعل شارلمان بقبائل السكسون . وأنا لاأحفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان أم باية آلة أخرى ، فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها واظافرها فانها لن تهزم الاما كان يستحق أن يهزم ، وليس في طاقتها قط أن تفنى ماهو خير منها، بل ماهو احط وادني . الى أن قال:

ولو نظرنا إلى ما كان من سرعته الى القلوب ، وشدة امتزاجه بالنفوس واختلاطه بالدماء فى العروق لايقنا انه كان خيراً من تلك النصرانية التى

كانت إذ ذاك فى الشام واليونان وسائر تلك الأقطار والبلدان ـ تلك النصرانية التى كانت تصدع الرأس بضوضائها الكاذبة ، وتترك القلب ببطلانها قفرا ميتا . على أنه قد كان فيها عنصر من الحق ولكنه ضئيل جداً وبفضله فقط آمن الناس بها، وحقا إنها كانت ضربا كاذبا من النصرانية كالدعى بين الأصلاء . الي أن قال

وان ديناً آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه بقلوبهم النارية لجدير أن يكون حقاً، وجدير أن يصدق به . وان ماأودع هذا الدين من القواعد هو الشيء الوحيد الذي للانسان أن يؤمن به، وهذا الشيء هو روح جميع الأديان روح ـ تلبس أثوابا مختلفة وأثوابا متعددة وهى في الحقيقة شئ واحد، وباتباع هذه الروح يصبح الأنسان اماما كبيرا لهذا المعبد الاكبر ـ الكون ـ، جاريا على قواعد الخالق ، تابعا لقوانينه لامحا ولا عبثاً أن يقاومها ويدافعها ، ولم اعرف قط تعريفاً للواجب أحسن من هذا !

والصواب كل الصواب فى السير على منهاج الدنيا ، فان الفلاح فى ذلك (اذا كان منهاج الدنيا هو طريق الفلاح) .

وجاء محمد صلى الله عليه وسلم وشيع النصارى تقيم أسواق الجدال ، وتتخابط بالحجج الجائرة ، وماذا أفاد ذلك وماذا أثمر ؟ أما أن الأهم ليس صحة ترتيب القضايا المنطقية وحسن انتاجها وانما هو أن خلق الله وابناء آدم يعتقدون تلك الحائق الكبرى .

لقد جاء الاسلام على تلك الملل الكاذبة ، والنحل الباطلة فابتلعها وحق له أن يبتلعها لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة ، وما كاد يظهر الأسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية وكل ما لم يكن بحق ، فانها حطب ميت أكلته نارا لأسلام فذهب والنار لم تذهب الى أن قال

أيزعم الافاكون الجهلة أنه مشعوذ ومحتال ؟ كلا ثم كلا ما كان قط ذلك القلب المحتدم الجائش كأنه تنور فكر يفور و يتأجج ليكون قلب محتال ومشعوذ. لقد كانت حياته فى نظره حقا، وهذا الكون حقيقة رائعة كبيرة.

والأخلاص المحض الصراح يظهر لى أنه فضيلة القرآن التي حببته الى العربى المتوحش، وهى أول فضائل الكتاب أيا كان وآخرها ،وهى منشأ فضائل غيرها ، بل لاشيء غيرها يمكنه أن يبعث للكتاب فضائل أخري، ومن العجب أن تري فى القرآن عرقا من الشعر يجرى فيه من بدايته الى نهايته ثم تتخلله نظرات نافذات نظرات نبي وحكيم . . .

أجل ، لقد كان لمحمد في شؤن الحياة عين بصيرة ، ثم له قدرة عظيمة على أن يوقع فى أذهاننا كل ماأبصره ذهنه ـ انا لا أحفل كثيراً بما جاء فى القرآن من الصلوات والتحميد والتمجيد ، لأني أرى لها فى الأنجيل شبيهاً . ولكنى شديد الاعجاب بالنظر الذى ينفذ الى أسرار الأمور، فهذا أعظم ما يلذنى و يعجبنى ، وهو ماأجده فى القرآن وذلك كما قلت فضل الله يؤتيه من يشاء الى أن قال :

مثل هذه الاقوال وهذه الافعال ترينا فى محمد أخا الانسانية الرحيم ـ أخانا جميعاً الرؤف الشفيق، وابن أمنا الاولى وأبينا الاول . وانى لاحب محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنع ، ولقد كان ابن القفار هذا رجلا مستقل الرأى لا يعول الا على نفسه ، ولا يدعى ما ليس فيه، ولم يك متكبراً ولكنه لم يكن ذليلا ضرعاً ، فهوقائم فى ثوبه المرقع كما أوجده الله وكما أراد يخاطب بقوله الحر قياصرة الروم واكاسرة العجم يرشدهم الى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الاخرة ، وكان يعرف لنفسه قدرها ، ولم تخل الحروب الشديدة التي وقعت له مع الاعراب من مشاهدة قسوة ، ولكنها لم تخل كذلك من

دلائل رحمة وكرم وغفران، وكان محمد لا يعتذر من الأولى ولا يفتخر بالثانية إلى ان قال :

وما كان محمد بعابث قط ولا شاب شيئا من قوله شائبة لعب ولهو ، بل كان الأمر عنده أمر خسران وفلاح ، ومسألة فناء وبقاء ، ولم يكن منه بازائها إلا الأخلاص الشديد والجد المر . فأما التلاعب بالأقوال والقضايا المنطقية والعبث بالحقائق فما كان من شانه قط ، وذلك عندى أفظع الجرائم إذ ليس هو الا رقدة القلب ووسن العين عن الحق وعيشة المرء فى مظاهر كاذبة . وليس كل ما يستنكر من مثل هذا الانسان هو أن جميع اقواله وأعماله أكاذيب، أنه هو نفسه أكذوبة ، وأرى خصلة المروءة والشرف ـ شعاع الله ـ متضائلا فى مثل ذلك الرجل مضطربا بين عوامل الحياة والموت ، فهو رجل كاذب : لا انكر أنه مصقول اللسان مهذب حواشى الكلام محترم في بعض الازمان والامكنة لا تؤذيك بادرته ، لين المس رقيق الملمس كحمض الكربون تراه على لطفه سما نقيعا وموتا ذريعا !

وفى الأسلام خلة أراها من أشرف الخلال واجلها وهى التسوية بين الناس ، وهذا يدل على أحدق النظر وأصوب الرأي ، فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض ،والناس فى الاسلام سواء الي أن قال:

ولا أحسب أن أمة من النصارى اعتصموا بدينهم اعتصام المسلمين باسلامهم ، اذ يوقنون به كل اليقين ويواجهون به الدهر والأبد ،وسينادى الحارس الليلة فى شوارع القاهرة أحد المارة (من السائر؟) فيجيبه السائر « لا إله إلا الله » ، وان كلمة التوحيد والتكبير والتهليل لترن آناء الليل وأطراف النهار فى أرواح تلك الملايين الكثيرة ،

ولقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات الى النور ، وأحيي به

من العرب أمة خامدة وارضاها مدة. وهل كانت الافئة من جوالة الأعراب خاملة فقيرة تجوب الفلاة منذ بدء العالم لايسمع لها صوت، ولا تمس منها حركة، فارسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه ورسالة من قبله، فاذا الخمول قد استحال شهرة، والغموض نباهة والضعة رفعة، والضعف قوة، والشرارة حريقاً. وسع نوره الانحاء وعم ضوءه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والمشرق بالمغرب، وماهو الاقرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند، ورجل فى الأندلس، واشرقت دولة الاسلام حقباً عديدة ودهوراً مديدة بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة. وكذلك الايمان عظيم وهو مبعث الحياة ومنبع القوة وما زال للأمة رقي في درج الفضل وتعريج الى ذرا المجد مادام مذهبها اليقين ومنهاجها الايمان – الستم ترون فى حالة أولئك الاعراب ومجدهم وعصرهم كانما قد وقعت من السماء شرارة على تلك الرمال التى كان لا يبصر بها فضل ولا يرجي فيها خير، فاذا هى بارود سريع الأنفجار، وما هى برمل ميت، وإذا هى قد تأججت واشتعلت وأتصلت نارها بين غرناطة ودلهي؟ ولطالما قلت إن الرجل العظيم كالشهاب من السماء وسائر الناس فى انتظاره كالحطب فما هو إلا أن يسقط حتى يتأججوا ويلتهبوا الي آخر ما قال

وقال الفيلسوف كاين تيلر فى خطبة له ان الاسلام قد سبق النصرانية بمراحل شاسعة من أكثر جهات العالم – همهمة ودمدمة – ليس فقط من جهة المسلمين الذين كانوا وثنيين وأسلموا أكثر من الذين تنصروا. كلا، بل لان النصرانية فى بعض الجهات أخذت فى التقهقر الى الوراء أمام الدين الاسلامى فى حين أن الوسائل التي تستعملها لتنصير الامم الاسلامية يفشل أمرها، والشباك

التي تنصبها لهم تتقطع حبالهـا ، فاننالانرجع فقط بصبغة المغبون ، بل ربما خسرنارأس المال و يصدق علينا قول من قال (على نفسهاجنت برا كش) الى أن قال وليس هذا بأول تقدم للاسلام يلزم بيانه والبحث فى سرعة انتشاره بل هو عـدم الخلط والخبط في أصوله و بنيانه ـ الامر الذي جعل له مكانا ثابتا فى قلوب أهله وكل من تدين به . بخلاف النصرانية ، فانها مزعزعة الاركان قلما يكون لها ثبوت عند الانسان لما فيها من التبديل والتغيير والتحريف والتحوير .

اجل فقد اعتنق الاســلام أمة بحذافيرها فى افريقيا صفقة واحدة ولم ترتد الى الوثنية قط ، ولم تعتنق النصرانية قط . وقال القس لوازان الفرنسى الشهير في خطبة له ،واذا أدركتم الآن الاسلام فعلى ان أزيدكم ايضاحا بأن اقول لـكم ان مبنى الديانة النصرانية شيآن ، وهما بنوة عيسي (تعالى الله عن ذلك) ووجود الخالق تعالى ، ففى الاول يقول المسلمون كلاما معقولا وهو ـ ان المسيح ليس ابن الله وانمـا هو من روح الله ، لان الله لم يلد ولم يولد

وأما الشيء الثاني الذي هو وجود الخالق وتنزيهه عن الند والنظير مع وصفه بالقدرة والعلم والعلو والوحدانيـة فالاسلام والنصرانية فيه سواء ، سوي أن المسلمين لمـا عرفوا جلال الله القادر على كل شيء بسطوا أكف الضراعة ، وأقروا بعجزهم ، وطلبوا منه الرحمة والمغفرة والعافية فى الدنيا والعفو فى دار السـلام . والنصارى جهـلوا خالقهم وزاغوا عن الطريق المستقيم ، ولذلك تجد المسلمين فى رفعة عن النصاري من هذه الحيثية ، ولا تري فيهم واحدا يكفر بالله كما تفعل النصارى فى كل حركة وسكون . وما اهتـدى مئات الملايين الى الاســلام الا ببركة محمد الذى علمهم الركوع والسـجود لله ، وأبقي لهم دستورا لن يضلوا بعده أبدا ،وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم ولخير أخراهم الي آخر ماقال .

أقول لا أسلم بجميع ما جاء به هؤلاء الفلاسفة الأوربيون، فانه يوجد فى خلال شهاداتهم ما يمس بالذات النبوية الشريفة، و ببعض أتباعها وأنصارها، وما يجعل المسيحيين سواسية مع المسلمين فى بعض الاعتقادات، وإن لم يكن مقصودا لهم. فقد جاء فى خطبة الفيلسوف كارليل: أن النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذاك كان قائما فى ثوبه المرقع كما أوجده الله تعالى. انه لم يكن كذلك فى جميع حالاته، وأيام حياته. كما جاء فيها أيضا نسبة التوحش الى الاعراب الذين اتبعوه صلى الله عليه وسلم واعتنقوا دينه، فان من اعتنق هذا الدين الحق أجل من أن يكون متوحشا، فان اعتناقه للدين الاسلامى السماوي الصحيح يدل على ثقافته وصحة عقليته: وجاء في خطبة القس لوزان الفرنسى مساواة المسيحيين للمسلمين فى وصف الاله بالقدرة والعلم والعلو والوحدانية، وتنزيهه عن الشريك والنظير....

ان المسيحيين ليسوا سواسية مع المسلمين فى ذلك، لما أنهم نسبوا له العجز والموت، وعدم العلم وعدم العلو وعدم العدل وأشركوا معه غيره !!

انك بهذا المقال لم ترم الاسلام فحسب، بل رميت بها أيضا موسى ابن عمران و يوشع بن نون، ومن قبلهما ومن بعدهما من الانبياء عليهم صلوات الله، فانهم قد حاربوا الامم الطاغية ببلادهم، وناوئوا الأعداء الباغية فى ديارهم كما صرحت بذلك التوراة، و بينته في قتال داود عليه السلام مع جالوت، وقتال سليمان عليه السلام مع طوائف من الكفار، ولم يقدح ذلك فى ديانة كل منهم.

واذا كان القتال والاكراه على الحق سنة الله تعالي وعادته لاهل الحق مع أهل الضلال فنحن على تلك السنة، فهى من مناقبنا لا من مثالبنا (فانها لا تعمى الابصار، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور). على أن أخذ الانسان

لسعادته بأية طريق من الطرق مما يقضي به العقـل والفلسفة . واذا كانت أو ربا تحارب لانقاذ الانسانية المعذبة كما تزعمون فبم تعترضون على الاسلام وهو الذي أنقذها حقا ؟ واذا كانت الحكومات تستعمل الشدة المتناهيـة لأجل الاحتياطات الصحية في الوباء فالسعادة الأبدية أولي ...

وقد مثـل القديس (أغستان) المنشقين من أهل البـدع ببغال تعض وترفس قوما يعالجونهـا مما أصابها ، وهم ملجؤن الى تعذيبها ، ليتمكنوا من تضميد جراحها ، وإن الطفل الصغير لا تتيسر تربيته بغير السياط والايلام الجسماني . فالاضطهاد الذى يستعمل ضد الاشرار لردهم الى طريق الخير أكبر خير يصنع معهم .

هـذا ، وقد عارضني بعض المتعصبين في فكرتي هـذه حيال الاسـلام والدفاع عنه ، وكانت اذذاك المناظرة مائلة للطبع ، فوجهت السؤال الاتى لحضرة صاحب الفضيلة علامة الغرب الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي فأجاب حفظه الله عنـه بما يلي ، وهو لم يخرج عما قلته لمن يتأمل .

حضرة صاحب الفضيلة (مولانا) علامـة الغرب الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى ...

و بعد ، ماقولكم أدام الله النفع بكم فى ديننا دين الاسلام المطهر ؟ هل ابتداؤه بالسيف والقهر ، أو بالدعوة الى الله أولا فى مظان الاجابة والقبول ، ثم كان انتشاره بعد ذلك بالسيف وحـده ، أولازال بالدعوة بالرفق كما بدأ ، و بالسيف أيضا فى خلال ذلك حين القدرة ؟

وهل يعاب شرعا من قال إنه بدأ بالدعوة الى الله بالرفق ، ثم كان بعد ذلك بالسيف لمن لا ينفع فيه غير السيف ؟

وهل والحالة هذه يكون ذلك وصمة فى ديننا الاسلامى ، مع معرفة

رسولنا عليه الصلاة والسلام وأصحابه انه الدين الحق الذى تحصل به النجاة
الدنيوية والاخروية في دار البقاء ؟

وهل مآل هذا الاكراه بالقتل خير لمن أسلم لما يحصل عليه من سعادة الدارين ؟ أوالأولى له تركه حتي يموت على كفره ، فيخلد فى النار أعاذنا الله منها ؟ أجيبوا مأجورين من رب العالمين ؟

خليل أبو لبن

* * *

الجواب والله تعالى أعلم ، ونسبة العلم اليه أسلم ، هو أن دين نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ، الذى هو دين الاسلام كان بالدعوة الي الله بالرفق والموعظة الحسنة ، كما دل عليه قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) وكما دل عليه قوله عليه الصلاة والسلام ، الذي رواه مسلم فى صحيحه « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء » بل هكذا كانت شرائع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، تكون أولا بالدعوة بالرفق واللين ، الى أن يأتيهم النصر من عند الله تعالى . والنصر اما أن يكون بجهاد كما وقع لنبينا عليه الصلاة والسلام ، لتكثر أمته وترحم به ، لأنه بعث رحمة للعالمين ، كما قال الله تعالي (وما أرسلناك الارحمة للعالمين) ولهذا لما بعث الله له الملك الموكل بالجبال ، وقال له ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين قال أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا رواه البخارى ومسلم . وإما أن يكون باهلاك من أراد الله اهلاكه من الامم ، واسلام من أراد الله اسلامه كما وقع لأمة نوح ، مع طول لبثه فيهم بالدعوة ، اذ لبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما كما فى التنزيل ، وكما وقع لفرعون وقومه من أمة موسى عليه الصلاة والسلام ، حيث أغرقه الله فكان النصر لموسى بذلك .

ومن المعلوم البين في القرآن كون موسى وأخيه هارون أمرا بدعوته بالرفق والقول اللين ، كما في قوله تعالى (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى الآية) ثم ان الله تعالي جعل من عادة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام أن تكون أتباعهم في أول أمرهم الضعاف أهل اللين والخير ، لا الصناديد الاقوياء الذين لابد لهم من الجهاد والقوة . ثم بعد الدعوة بالرفق والموعظة الحسنة ، وتمادي الصناديد في الاعراض يأتي النصر من الله لرسله بعد اليأس منه ، أو قرب اليأس . كما دل عليه قوله تعالي (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا الآية) . وذلك النصر اما باهلاك الكفرة ، أو بان يغلبوا كما وقع المشركين من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام بالفعل ودل عليه قوله تعالي (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد)

وقولك أولا زال بالدعوة بالرفق وبالسيف في خلال ذلك الخ جوابه أن دين نبينا عليه الصلاة والسلام لازال ولم يزل جامعا بين الامرين ، حتي توفى الله نبيه عليه الصلاة والسلام ، ولم يزل خلفاؤه الراشدون ومن على قدمهم على الأمرين، فمن تنفع فيه الموعظة يكتفى فيه بها ، ومن لا ينفع فيه الا السيف كأهل العناد من الكفرة يشرع في حقه الجهاد بالسيف . ومن قال إن دين الأسلام كان في ابتدائه بالدعوة بالرفق ، ثم عند قوة الاسلام كان بالسيف فيمن لا ينفع فيه غيره لا يعاب ، لانه أخبر بالواقع في نفس الامر الذى لاعيب فيه على دين الاسلام ، كما لاعيب في قهر المسلمين للكفرة على الاسلام ، لان العاقبة الدائمة بالنعيم خير من نعيم الدنيا الزائل. ومن الضروري عند كل عاقل أن الأمور انما تنظر فيها العواقب . وقد دل العقل والشرع على أن كل ما أخبر به القرآن الكريم واقع لامحالة كخلود

بدعوى الكفرة فى النار وخلود المسلمين فى جنات النعيم ، وحينئذ فالا كراه للكافر كرا على الاسلام فيه الخير العاجل والآجل ، ولذلك أمر به شرعنا وحكم ، وهذا كله مما لا يخفى لتواتر أدلته وظهور محجته . وبالله تعالى التوفيق .

خادم نشر العلم بالحرمين الشريفين
محمد حبيب الله بن ما يأبى الجكني نسبياً
الشنقيطى اقاما
في ٦ صفر سنة ١٣٤٨ هجرية

﴿ المحاضرة الرابعة دعوى أن الانبياء غير معصومين ﴾

أنكر العقس فى محاضرته الرابعة عصمة الانبياء ، مستندا لا بحديث الشفاعة الذى يذكر فيه كل نبى ذنوب نفسه حينما تعرض عليه الشفاعة العظمى يوم القيامة و يتخلى عنها . و بقول القرآن « انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر » مدعيا أن غفران الذنب يقتضي سبق وقوعه ، وان تخلية كل نبى عن الشفاعة واحالتها على غيره اقرار بالذنب .

وفى الحق ان من يتأمل في منطوق المحاضر ، وفى خلال بحثه يعلم جيد العلم أن مايدعيه من انكار العصمة ليس خارجا عن حسن نية وسلامة طوية ! بل غرضه من ذلك أن يبني صراطا يمر عليه الي الحط من كرامة محمد خاتم الرسل عليهم جميعا صلوات الله . لأنه اذا ثبت أن لاعصمة لأحد من الانبياء والمرسلين عن ارتكاب مايخل بمقام المبعوث جاز أن يكون كتاب محمد وقرآنه دخله التغيير والتبديل ، و بهذا تكون الشريعة الاسلامية غير مركوزة على دعامة متينة تضمن لابنائها السعادة الابدية كما يدعى المسلمون !!

ولكن غاب عن فكر المحاضر أن بحثه هذا يرجع عليه بالخسران ، و ينادى بهدم صروح الديانة المسيحية قبل الاسلامية ، فانه يدخل فى عموم حديثه أنبياؤه

كتى ولوقا ومرقس ويوحنا وغيرهم، واذا دخلوا تحت ستار دعواه كانوا غير معصومين فلا يصح أخذ الاناجيل عنهم بمقتضى هذه الدعوى ، بل دخل فى هذا التوراة وكتب العهد القديم ، فاذا جاز عليها التحريف والتغيير ، بناء على صدور الذنوب من الانبياء اقتضى ذلك أن تكون البشارات الواردة على زعمكم بحق المسيح كذباً ، ومتى قلتم بهذا فان انتظار المسيح المزعوم خيال باطل ومحض وهم ، ويكون العهد القديم باسره لا حجة لكم فيه على مجيء نفس عيسى ، فتبطل الملة المسيحيه من منبتها ! ! « يريدون أن يطفؤا نور الله بافواههم و يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » والمبشرون !.

نحن لا نسلم هذه القاعدة من انه يلزم من الغفران سبق وقوع الذنب . الا ترى قوله تعالى وما تأخر فى قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فلو كان غفران الذنب يقتضى سبق وقوعه ، لما صح قوله وما تأخر ، فان الذنب لا يغفر قبل وقوعه . كما لا نسلم ان الذنب حقيقي كما نتصوره ، بل ليس هناك ذنوب اصلا . وما استدللت به ياحضرة القس من الآية ليس كما تدعى ، فان المراد بالفتح فى الآية الكريمة مشاهدة محمد صلى الله عليه وسلم لله تعالى ، وبالمغفرة انعدام الذنب من أصله ، فان المغفرة مأخوذة من الغفر ، وهو ستر الذنب وانعدامه من أصله ، والمراد بالذنب سببه وهو الغفلة وظلام الحجاب الذى كان فى أصل نشأت الذات الترابية . والمراد بما تقدم وما تأخر زواله بالكلية ، ولتتم النعمة عليك ولتهدي وتنصر ، فانه لا نعمة فوق نعمة زوال الحجاب ، ولا هداية فوق هداية المعارف ، ولا نصرة فوق نصرة الله لمن كانت هذه حالته . وهذا من ألطف اللطائف ، واليق بالذات النبوية الشريفة ، وأبلغ فى التعظيم ، وأوفق بالعصمة المجمع عليها وهو المراد من سياق الآية . . .

فالمغفرة فى حقه صلى الله عليه وسلم يراد منها العدم ، والذنب يراد منه المصدر وهو النفس ، والحقيقة وهى المخالفة . ولا شك أن مغفرة كل منهما ـ أى طيه عن العدم ــ تستلزم مغفرة الاثر وهو الظلام الذي يكون فى القلب من الذنب . كما أن ما استدللت به من ظاهر حديث الشفاعة ليس كما تفهم ، فان تخلية الأنبياء عن الشفاعة واقرارهم بالذنب انما هو مجرد عذر لاظهار شأن محمد وعظمته ، ولانهم يعلمون ان هذا الامر خطير جداً ، وانه من خصوصيات محمد خاتمهم عليهم جميعا صلوات الله ، وما وقع منهم مما صورته معصية فهو الهام من الله تعالى لسر أراده ، فان الله قد يلهمهم أمراً ويوحى لهم بخلافه ، فاذا ما نظروا الي اعمالهم وجدوها مخالفة لما أمروا به فتتحدث به نفوسهم باللوم والمؤاخذة ، فينزل الوحى بالعتاب مؤاخذة لهم على هذا الهاجس النفسانى ، نظراً لعلو شأنهم و رفعة منزلتهم . . . .

ولا يختلف أثنان فى ان الانبياء والمرسلين معصومون قطعاً من المعاصى الحقيقة وهى التي تحصل عن عمد ، لان كل ما حصل منهم مما صورته معصية فهو على أحد وجهين . أما أن يكون حصوله منهم لغرض شرعى يستدعى وقوعه ، واما أن يكون عن سهو ونسيان فهو غير مقصود . فمن الاول وهو ما حصل منهم لغرض شرعى قول ابراهيم الخليل عليه السلام « بل فعله كبيرهم هذا » حين أن كسر الاصنام وسألوه أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ فان ظاهره كذب ، ولكنه غير مقصود ، وانما المقصود توبيخهم على عبادة الاصنام التي لم تحفظ نفسها ولم تنطق حتى تخبر عمن فعل بها هذا الفعل . . . .

فقد سلك عليه السلام في الجواب مسلكا تعريضيا يؤدى به الي مقصده الذى هو الزامهم الحجة على ألطف وجه وأحسنه ، ليحملهم على التامل فى

شأن آلهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب ، فقد أبرز الكبير قولا فى معرض المباشر للفعل باسناده اليه ، كما أبرزه في ذلك المعرض فعلا بجعل الفأس فى عنقه أوفى يده. وقدقصد اسناده اليه بطريق التسبب ، حيث رأى تعظيمهم إياه أشد من تعظيمهم لسائر مامعه من الاصنام المصطفة المرتبة للعبادة من دون الله تعالي ، فغضب لذلك زيادة الغضب فأسند الفعل اليه اسناداً مجازيا عقليا باعتبار انه الحامل عليه . والاصل فعلته لزيادة غضبي من زيادة تعظيم هذا . وانما لم يكسره وان كان مقتضى غضبه ذلك لتظهر الحجة . وتسمية ذلك كذباً من باب المجاز ، لما أن المعاريض تشبه صورتها صورته فبطل الاحتجاج بما ذكر على عدم العصمة للانبياء عليهم السلام .

أو أنه عليه السلام لم يقصد بذلك إلا أثبات الفعل لنفسه على الوجه الأبلغ مضمناً فيه الاستهزاء والتضليل ، كما اذا قال لك أمي فيما كتبته بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا ؟ فقلت له بل كتبته أنت ، فانك لم تقصد نفيه عن نفسك واثباته للامى ، وانما قصدت اثباته وتقريره لنفسك مع الأستهزاء بمخاطبك والتبكيت به ، ولم يقل احد إن التعريض كذب بل من باب المجاز ، فكان عليه السلام يقول لهم كيف تعبدون مالا يعقل ولا يدفع عن نفسه ؟ ! وقد صرح بمراده فقال بعد ذلك « أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟ أف لكم ولما تعبدون من دون الله ! أفلا تعقلون ؟ ! »

وكذلك قوله عليه السلام حين رأى الكوكب هذا ربي ، وحين رأي الشمس والقمر ، فهو تعريض بانه اذا كان أكبر اجرام العالم العلوى مخلوقة مستخرة لا تصلح لان تكون آلهة ! فكيف باصنامهم التى هى من أقل أجزاء الارض . وقد صرح بمراده بعد ذلك فقال (ياقوم اني بريء مما

تشركون . اني وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وماأنا من المشركين) ولهذا لم يعاتبه ربه، لانه لم يحصل منه مايخالف الاولى :

وكذلك قوله (رب أرني كيف تحي الموتي) فانه أراد أن يرى الكيفية ليحصل له مزيد الاعتبار لكونه مؤمنا بذلك . كما أننا لا نشك فى وجود الفيل مثلا ، ولكننا نحب أن نراه لزيادة التعجب والاستغراب .

وجملة القول انه ليس كل كذب معصية ، بل منه مايكون طاعة وفرضاً كالكذب للصلح بين متخاصمين مثلا . أما كذب العمد العدوان الذى لغير غرض شرعي فهو مستحيل على الانبياء والمرسلين ....

ومن القسم الثاني ، وهو الذي لا عن عمد ، وهو حصول المعصية بسبب سهو أو نسيان (مسألة آدم وحواء عليهما السلام) وهى أكلهما من الشجرة التى نهى الله عنها ، فان المعصية حصلت صورة ولكنها لم تقصد، فان ابليس اللعين لما أمرهما بالاكل امتنعا فقال لهما « مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين » أى حلف لهما أن نهي الله عز وجل لكما عن الاكل من الشجرة ليس على التحريم ، وانكما لا تستحقان بذلك عقوبة أصلا ، فصدقه آدم لانه ما كان يعلم أن أحدا يحلف بالله كذبا ، ونسى آدم قول ربه « أن هذا عدو لك ولزوجك » فأكل من الشجرة غير قاصد للعصيان .

وبعد ، فمعصية آدم ليست معصية شرعية ، بل لغوية ، حيث انها وقعت منه فى الجنة قبل ارساله والجنة ليست دار جزاء وعمل وتكليف . ولم يكن الاكل من الشجرة الا سبباً لذلك الهبوط ، فانه لم يخلق من الدنيا الا للدنيا . وقد حقق العلماء أن مؤاخذة آدم انماهى زجراً لاولاده من الوقوع فى المعاصى ، فانهم اذا سمعوا تشديد الله مع أبيهم منعوا أنفسهم من أن تقع فى معصية

وعندى أن مثل آدم فى خطيئته كمثل طفل لم يبلغ الحلم ، فأمره أبوه مثلاً بفعل شيء فلم يفعله ، فلا خلاف فى أنه أذنب واستحق العقاب ، الا أن هذا الذنب ليس ذنبا شرعياً ، بل لغوى استحق عليه العقاب من الوجهة العادية فقط للتربية والترفيه والتهذيب ، حذراً من أن يبلغ على هذا المنوال ، فيبقى طوال حياته عاصياً قاسى القلب عاقاً لوالديه وأقاربه ، خارجا على طاعتهما . على أنه مأمور الهاما ، كي ينشأ عنه هذا العالم المحتوى على الانبياء والصديقين والعلماء والعباد والصالحين .... ولما حلت به الخطيئة ظاهراً غلب الوهم الظاهرى على الحقيقة الروحية المنزهة عن لعب الشيطان ووسوسته ، فظن أن ما حصل له كان بسبب غواية الشيطان فتاب الله عليه وقبله ، حيث قال « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي » فمعصيته ليست معصية حقيقية لانها لم تكن عن قصد .

وهكذا جميع ما ورد عن الانبياء مما ظاهره غير مرضى ، كما وقع لمحمد صلى الله عليه وسلم من إذنه لبعض المنافقين بالتخلف والقعود عن السفر معه فى غزوة تبوك ، فكان إذنه لهم مبنياً على اجتهاد صحيح ، وهو انهم اذا خرجوا وهم كارهون ومصرون على نفاقهم يضرون ولا ينفعون كما قال تعالى « لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ! » ولكنه لو لم يأذن لهم بعدم الخروج لتبين له الصادق من الكاذب ، ولعلم المعتذرين من غيرهم ، فكان اذنه لهم شبه ذنب لأن له عاقبة مخالفة للمقصد والمصلحة وهى عدم ذلك التبين والعلم . فان المنافقين فى الواقع ونفس الامر كانوا مصرين على عدم الخروج . ولذلك قال الله تعالى له « عفا الله عنك لم أذنت لهم ؟ حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » . ولا يخفي ما فى تقديم العفو فى الآية من تعظيم الله له صلى الله عليه وسلم . وليس مؤاخذة على ذنب شرعى ، كما تقول لصديقك مثلا عفى الله عنك ماذا فعلت بحاجتي ؟ سامحك الله لماذا عملت كذا ؟

أضرب لكم مثلا معشر المسيحيين، وخصوصا المبشرين يقرب لكم ذلك اذا فعلت أنا بصفتي أزهريا وعالما ماهو خلاف الأولى، أو غير لائق مني فهل تلقي التبعة على كما تلقى على فردجا هل من افراد الأمة اذا فعل ذلك؟ كلا ثم كلا! بل ان الجاهل قد لا يؤاخذ أصلا. كما انه اذا كان للملك وزير مقرب وفعل شيئا يريد به الاصلاح، وخالف مراد الملك فى ذلك الفعل حيث ان الملك يريد فعلا أرقي وأنفع مما فعله الوزير، ليكون أصلح للمملكة وأليق بمقام الوزير، بحيث يكون كاملا فى خلافته، ولا يترك الأولى. فاناشدكم بربكم هل يعد هذا الفعل من الوزير ذنباً حقيقيا يقصد به مخالفة الملك؟ أوهل يعد لوم الملك عليه فى غير محله؟ كلا، بل ان الملك ليشكر حيث كانت عنايته بوزيره . . .

وقصارى القول أن ماوقع من الأنبياء مما صورته معصية انما هو من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين، وأن الخطأ والنسيان غير مؤاخذ بهما فى حقنا لافى حق الأنبياء، وهما طبيعيان فى البشر، وماورد من اللوم عليهما كمسألة سيدنا آدم فهو ضرب من ضروب التعليم والترفيه، كمن يريد أن يرى فى ابنه ملكة اليقظة والانتباه، فهو فضل وعناية وترفيه وتربية، وأن ما استدل به حضرة القس لا يدلل على عدم العصمة لأن المؤاخذة على قدر رفعة مقام الرسل وعلو منزلتهم، فان الله يؤاخذهم على مالم نؤاخذ عليه

وختاماً أشكر لجريدة الاخبار الغراء نشرها لمناظرتى بتمامها، ودفاعها الشديد عن الاسلام، وذودها عن حياضه والسلام . . . .

وبعد، فلا يفوتنى أن أقول كما قال الأستاذ العبادى على صفحات مجلة الفتح الغراء المصرية، لسنا ندفع الباطل بالباطل، ولا نرد السيئة بمثلها أيها المبشرون، ولكننا نقذف بحقنا على باطلكم فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم

الويل مما تكذبون . الغش والكذب ، والسفاهة والحماقة ، والفساد والفجور ، والكبر والغرور ، والكفر والجحود ، صفات لازمة وخصال طبيعية للمبشرين بالدين المسيحى (على زعمهم) والمسيح برىء مما يعملون !

أشربت قلوب المبشرين تلك الخبائث وتلونت بها نفوسهم ، لانهم ينسبونها الي أنبياء ، هم أجل قدراً وأنزه نفساً من أن يتصفوا بها .

ان الانبياء الذين يدعوننا دعاة النصرانية الي اتباعهم يتفقون بالأسماء فقط مع الانبياء الذين قص الله علينا أخبارهم فى القرآن . فأنبياء القرآن منزهون عن كل مالا يتفق مع مقام النبوة من صفات وأخلاق ، وأما أنبياء المبشرين فلهم صفات أخرى هذا بعضها :

ان ابراهيم قدم امرأته سارة لفرعون مصر لينال رضاه ، وقدمها مرة أخرى لابيما لك لنفس الغرض ، واقتدي به ابنه اسحق فقدم امرأته رفقا لابيما لك أيضا . وان يعقوب غش أباه اسحاق واغتال أخاه عيصو بأخذ البركة والبكارة ، وهضم حق أخيه عيصو ، وانه سرق قطيعا غنم كانت لحميه لابان . وأن لوطا شرب الخمر حتي سكر وزنى بابنتيه فحملتا منه بالزنا . وأن داود زنى بامرأة أوريا فحملت منه بالزنا ، ثم دبر مع رئيس عسكره حيلة لقتل أوريا فقتله وأخذ امرأته . وان سليمان ارتد فعبد الاصنام وبنى لها المعابد . وان هارون صنع عجلا وبنى له مذبحا وعبده مع بنى اسرائيل ..

ويزعمون فى العهد القديم انكار خلود النفس ، واغراء الناس بالاباحة المطلقة باعتبارهم كباقي الحيوان ، فقد قالوا ان فى الاصحاح ٣ من سفر الجامعة مانصه « قلت فى قلبي من جهة أمور بنى البشر ان الله يمتحنهم ليريهم أنه كما البهيمة هكذا هم ، لأن ماحدث لبنى البشر يحدث للبهيمة ، وحادثة واحدة لهم موت هذا كموت ذاك ، ونسمة واحدة للكل ، فليس للانسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل .

يذهب كلاهما الى مكان واحد . كان كلاهما من التراب والى التراب يعود كلاهما . من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد الى فوق ، وروح البهيمة هل هي تنزل الى أسفل الي الارض ؟ فرأيت انه لا شئ خير من أن يفرح الانسان بأعماله الآن ذلك نصيبه ، لأنه من يأتي به ليري ما سيكون بعده ؟)

أتستقيم أمور الدنيا وفيها دعاة الي هذه التعاليم ؟ أم تقل الشرور في الارض وعليها قوم هذا زعمهم ؟ أفلا تكون هذه الشرور صورة طبق الاصل من أعمال المبشرين ، عملا بما في كتابهم واقتداء بما ينسبونه لأنبياءهم ؟ !

قل لي بربك أيها القارئ هل الشرور التي يحرص الناس على الخلاص منها هي شئ آخر غير القتل والزنا وشرب الخمر والدياثة والسرقة والغش والكفر وانكار الآخرة والدعوة الى الاباحة ، وهل المسلمون مجانين حتي يتبعوا تعاليم فيها هذه الامور ؟ ان المبشرين كانوا اخوان الشياطين ، لأنهم لا يستحون من أن تنسب الي أنبياء الله أمور لو نسبت لخدم البارات وشطار الحارات لتواروا خجلا من الناس . ولو أن ما نسبه هؤلاء الى أنبياء الله المصلحين ينسب الى رئيس ديني أو زعيم سياسي ، أو أي انسان له بين الناس صفة محترمة لسقط من نفوس الناس وسقطت عندهم عدالته وضاعت ثقتهم به وأصبح موضع سخرية واستهزاء . ان كتب كرشنا الهند ، وبوذا الصين وزرادشت فارس لم تبلغ هذا الحد !

وأعجب من قوم يصدقون أن الانبياء كانوا من كبار المجرمين يدعون النسبة الى المسيح صاحب الانجيل الصحيح الذي لا يوجد اليوم والدين الصحيح الذي بدله القوم — ليعلم أهل الارض كافة والمبشرون خاصة أن ما يدعون اليه لا يسمح مسلم قط على وجه الأرض بأن يطرق مسامع أهله وبنيه .

فلا غرو والحالة هذه أن يكون الشر للمبشرين سجية أصلية ، بل وعقائد دينية . ولا عجب أن تتحد كنائسهم المتعادية ، وأن تتفق فرقهم المتفرقة ، وعقائدهم

المختلفة لنشر الباطل وطي الحق، ولاقامة الدليل المضحك . على أن الليل أبيض ناصع ، وأن النهار أسود حالك ، وان الواجب على كل الناس معرفة أن الزجاج أفضل من الماس ، والخاز باز أقوى من الباز ، وأن القرآن ركيك ملحون ، وان محمداً صاحب شهوات ومجون . كل هذه أدلة قوية من أن الديانة المسيحية التى شرعها ابن الله (لعبيد أبيه) خير وأفضل من الديانة الاسلامية ديانة الفطرة التى شرعها الله (ذاته) لخلقه بما يتفق وعقولهم ومصالحهم « لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك » . وليس ربنا كرب المبشرين — آسف القلب حزين النفس نادما علي عمله جاهلا عواقب الامور كما فى الاصحاح ٦ من سفر التكوين . الي أن قال

ولا يفوتنى أن أذكر حكاية افتضاض امنون بن داود بكارة أخته العذراء بتدبير بن عمه يوناداب الذي يسميه الكتاب بالرجل الحكيم ، ويذكر ان داود بكي كثيرا وحزن جدا لموت ابنه (الدنيء الخائن) امنون كما في سفر صموئيل الثانى الاصحاح ١٣ وحكاية ابنا لوم بن داود أيضاً فى فعله الآثم مع نساء أبيه ودخوله عليهن أمام جميع بني اسرائيل كما فى سفر صموئيل الثانى أيضاً الاصحاح ١٦ ، وحكاية زنا يهوذا بن يعقوب بامرأة ابنه كما فى سفر التكوين الاصحاح ٣٨ ، فحملت منه وولدت فارص أحد أجداد المسيح كما فى انجيل متي الاصحاح الأول الآية ٣ ثم أقول: أنه يصعب جدا على علماء النفس وعلماء الشرائع معرفة سبب اطناب كتابهم فى حوادث الجرائم الشنيعة ، وسبب نسبة كل ما يتصوره الخيال من المفاسد والشرور الي أنبياء الله الذين يجب الاعتقاد بأنهم كانوا أرقي الناس عقولا وأطهرهم نفوسا ، وانهم قادة المصلحين وسادة الابرار الصالحين . ان معرفة غرض كتابهم من ذلك عسير ، الا إذا جاز القول بأن واضعي هذه القصص أرادوا من

الناس عكس ما أراده الله وانبياؤه منهم ، لان من تدين بها ووطن نفسه على العمل بما فيها تقوى فيه ملكة الشر و روى يسهل عليه الاقدام على ارتكاب الجرائم ، اقتداء بانبياء الكتاب و بأ بناهم ، اذلا يتوهم انسان مهما بلغ من سمو العقل وطهارة النفس ان يكون خيرا من الانبياء :

أليس جديرا بالمبشرين أن يروا الخشبة المعترضة فى عيونهم قبل ان يروا القذى (غير الموجود) فى عيون غيرهم ؟ فيقتصروا فيما يبشرون به من أن أنبياء الله المشرعين كانوا فسقة مجرمين ، و يريحوا أنفسهم من الطعن فى كتاب يأمر الناس بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق ، ولولاه لما صدقنا بوجود نبي اسمه المسيح ، ولا نزول كتاب اسمه الانجيل ، ولولا ايماننا بهما لما كان لهم سبيل الي الطعن فى ديننا :

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

وكأن شاعر الحكماء أبا العلاء المعري كان قاضياً بين المبشرين والمسلمين يوم قال :

وطالت الأرض السماء سفاهة * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
وقال السهي للشمس أنت ضئيلة * وقال الدجى للصبح لونك حائل

ولما كان ضرورياً أن تتلون كل أمة بلون كتابها أخذ الأب (مارن) من قصة « أمر موسى بني اسرائيل بسرقة الحلي وأواني الفضة والذهب من جيرانهم المصريين — كما فى سفر الخروج » جواز السرقة والاغتيال فقال فى كتيبه (مختصر التعليم المسيحى) المتداول فى مدارس الكاثوليك ما نصه :

س — هل كل من يأخذ من مال الغير يعد سارقاً

ج — كلا اذ يتفق أحياناً أن من يسرق ماله لا يكون له حق المعارضة ، كمن يأخذ مال الغير عند ما يكون فى ضرورة ، ويقتصر على أخذ ما يحتاج ، أو كمن يأخذ من مال قريبه سراً (فويل ثم ويل لأموال أقارب النصارى

وجيرانهـم من الآباء المعلمين والابناء المتعلمين ! ولـكن بأى لسان تلوم من يعطي لابنائه ماأخذه من أنبيائه ؟ ولو أنصف الناس أنفسهم وخالقهـم لنبذوا كل تعليم يهتك حرمـة الحقوق ، ويفتح بين الناس بابا للخيانة وآخر للشيوعية ...

لست أتهم القوم بالتجرد من العقل والفهم ، لانهم ناس وللناس عقول تميز ، وافهام تدرك . ولـكن اتهمهم بكتم الحق ودعوة الناس الى الباطل ، ارضاء لمطامعهـم السياسة والمادية ، وايثاراً للدنيا على الآخرة ، واستغناء عن الدخول فى ملـكوت الله ، اما تهاونا بذاته تعـالى أوشكا في وعده . لأن النصاري يعلمون كما علمنا نحن من كتبهم استحالة اتصال سند كتاب من كتبهم التى مجموعها الكتاب المقدس الى نبي ممن ينسبونها اليهم الا بطريق الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً ، بل قد يكون عكس الواقع ، كما يعترف آباء النصرانية وعلماؤها من الأولين والآخرين . الي ان قال : واليـك ماقالوا وما نقلوا ، فـذلك ما كنا نبغى والحمد لله على أن شهد شاهد من أهلها

قال علامة الهند صاحب كتاب اظهار الحق (١ : ١١٧) قال هورن فى ج ٢ ص ٧٩٨ من كتابه المطبوع بلندن سنة ١٨٢٢ للمرة الثالثة : ان اكهارن من العلماء الجرمانيين الذين لا يعترفون بالهام موسي . ثم قال فى ص ٨١٨ قال شلز و داتهة وروزملر والدكتور جدس : لم يكن لموسي الهام ، وانما هو جمع الـكتب الخمسة من الروايات المشهورة فى عصره . وهـذا الرأى منتشر وقوي عن علمـاء الجرمن ، وقال : ان يومى بيس و بعض المحققين الـكبار من بعـده يقولون ان موسى كتب سفر الخليقة فى الوقت الذى كان يرعى الشياه فى مدين في بيت صهره .

أقول : ان فى ماقال هؤلاء العظـام عنـد المسيحيين انكاراً صريحاً

لنبوة موسى عليه السلام ، ولكون التوراة من عند الله . ولا ريب اننا نخالفهم فى الاول ونوافقهم فى الثاني ، ونعتقد أن الله أنزل على موسي توراة غير التى نراها بأيديهم اليوم . ذلك ماقالوا وما نقلوا وذلك ما كنا نبغى ، وان كان المبشرون لايخجلون ، والحمد لله على أن شهد شاهد من أهلها .

وقال وارد الكاثوليكي فى ص ٣٨ من كتابه المطبوع سنة ١٨٤١ مانصه : قال لوثر فى ج ٣ ص ٤٠ و٤١ من كتابه : نحن لانسمع من موسي ولاننظر اليه ، لانه كان لليهود فقط، ولاعلاقة له بنا فى شيء . وقال في كتاب آخر : نحن لانسلم بموسى ولابتوراته لانه عدو عيسى . ثم قال انه استاذ الجلادين . وقال : لاعلاقة للاحكام العشرة بالمسيحيين. ثم قال: لتخرج هذه الاحكام العشرة من دين المسيح، فتزول حينئذ كل بدعة ، لانه منبع البدعات

أقول ، هذا كلام لوثر المصلح ، وهوامام فرقة من أكبر فرق الديانة المسيحية ، وكتابه هذا هومعتمد المبشرين ومرشدهم . وذلك ماقالوا وما نقلوا ، وذلك ما كنا نبغي والحمد لله علي أن شهد شاهد من أهلها .

وقال أسلي بيس تلميذ لوثر رئيس فرقة انتى نومنيس : ان هذه الاحكام العشرة يجب أن تعلم فى الكنائس . والتوراة لايليق أن يكون كلام الله ، لانه يقول بنجاة مرتكبي كل الذنوب الفارقين فى قعر العصيان ، والذين يتمسكون بهذه الاحكام العشرة تكون علاقتهم بالشيطان قوية وصلبة (أساس) هؤلاء موسى . ذلك ماقالوا وما نقلوه وذلك ما كنا نبعى والحمد لله على أن شهد شاهد من أهلها .

قال علامة الهند : قال لى بعض علماء فرقة البر وتستنت ان موسى عندنا ما كان نبيا ، ولكن كان عاقلا يدون القوانين . وقال لى بعضهم . ان موسى عندنا كان سارقاً ولصاً ، فلما قلت له اتق الله قال ولم ؟ ألم يقل المسيح كما

في الاصحاح ١٠ من انجيل يوحنا ان جميع الذين اتوا قبلي هم سراق ولصوص، ولكن الخراف لم تسمع لهم، فأشار بذلك الي موسى وغيره من انبياء بنى اسرائيل . وهذا الذى قاله المسيح تمسك به لوثر وغيره فى ذم موسى وتوراته.

أقول : ان التوراة الحالى لايحتاج في ذمه الى دليل ، لأنه يدعو كل ناظر فيه الي ذمه ، ولكن ذلك ما كنا نبغى والحمد لله على أن شهد شاهد من أهلها . كنا نعتقد أن النصاري يعتقدون ان التوراة أساس دينهم ، أوعلى الاقل احدى رجليه لخلو انجيلهم من احكام المعاملات ، ولقول المسيح ماجئت لانقض الناموس – أى الشريعة – ولم تكن حينذاك شريعة الا شريعة موسى – وهى التوراه – ولكن جئت لاتممه . ولكن انكشف الغبار وظهر العار ونطق الباطل بلسان أهله ، حيث تبين للباحثين من علمائهم ان دينهم كسراب بقيمة يحسبه الظمآن ماء حتى اذ جاءه لم يجده شيئا .

ان انكار النصارى توراة موسي ، وقد أيدها انجيل عيسى لايخلو من أن يكونوا محقين فى انكارهم فيكونوا مكذبين للمسيح وإنجيله ، أو أن يكونوا مبطلين فى إنكارهم فيكونوا قد كفروا بعيسى وانجيله . ولامناص للمسيحيين من أحد أمرين ، كفرهم بالمسيح الصادق ، أواتباعهم المسيح الكاذب ، بناء على ماسبق . ولعلهم اذ كشف العلم الصحيح الستر عن وجه الباطل القبيح ، يعرضوا عنه ويقبلوا على الحق الصريح وهو الاسلام . ثم تكلم على كيفية ضياع التوراة والانجيل الاصليين فقال

﴿ كيفية ضياع التوراة والانجيل الاصليين ، وكيفية اختلاق التوراة والانجيل الحاليين ﴾

« التوراة » كلمة عبرية ترجمتها بالعربية الشريعة ، وتطلق على كل ماأمر

الله به موسى عليه السلام من فعل وترك . وكان قدماء اليهود يطلقون لفظة التوراة على (سفر التثنية) خاصة ، زاعمين انه السفر الذى كتبه موسى بيده وأمرهم بالمحافظة عليه ، بخلاف باقي الأسفار ، واليه كان مرجع جميع أنبياءهم من موسى الى عيسى ، واسمه في الانجيل « الناموس » وهى كلمة يونانية معناها بالعربية الشريعة . وكان اليهود يطلقون بعد الترجمة السبعينية اسم الناموسى على جميع كتب العهد القديم . وقال بعض علماء المسلمين بجواز ذكر لفظة التوراة فى القرآن على هذا الاصطلاح . الى أن قال :

و « الانجيل » كلمة يونانية ترجمتها بالعربية البشارة ، لأن عيسى جاء الى العالم ببشارتين، وهو أي المسيح نقطة الاتصال بينهما . الأولى تبشيره بنجاة من كانوا على شريعة موسى الحقة ومن يضيفون الى ذلك إيمانهم به ، والثانية تبشيره العالم بقرب مجيء خاتم النبيين المرسل بأكمل الشرائع الى الناس أجمعين (ومن أعظم معجزاتنا عدم ظهور نبي بعد نبينا) «وقال عيسي بن مريم يابني إسرائيل أني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدي اسمه أحمد» ومعنى المسيح القديس، وذلك أنهم كانوا اذا تولى عليهم ملك مسحه الكهنة القديسون بزيت مخصوص لذلك عند تتويجه يزعمون أن ذلك يطهره من الذنوب ويعصمه من الخطأ . الي أن قال:

قال اليهود ومن تبعهم من المؤرخين أن موسي كتب التوراة — التى مر ذكرها — وسلمها الى أحبار بنى اسرائيل ، وامرهم بالمحافظة عليها ، ووضعها بجنب صندوق العهد ، واخراجها لبني اسرائيل فى كل سبع سنين مرة ، فقام بذلك يوشع ومكث فيهم ٢٥ سنة بعد موت موسى . ولما مات يوشع وانقرضت طبقته تغيرت أحوال بني اسرائيل وفشا فيهم الكفر وعبادة الاوثان نحو ٥٧٠ سنة ، ولم يكن لهم ملك يجمع شملهم، وانما كان يدر

أمرهم كاهن منهم . وتعاقب عليهم فى تلك المدة ٢١ رئيساً ما بين قضاة وكهنة وأنبياء أولهم يوشع النبي وآخرهم شمويل النبي الذى ورد ذكره فى القرآن « وقال لهم نبيهم ان الله الذي بعث لكم طالوت ملكاً » وطالوت هو أول ملوك بنى اسرائيل ، وهو الذي استرجع تابوت العهد من الفلسطينين وقد كانوا سلبوه منهم فى حروبهم معهم ، ومكث عندهم أكثر من ٢٠٠ سنة «وقال لهم نبيهم أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة » ولا يبعد أن يكون الذين أخذوا التابوت أخذوا معه التوراة الاصلية التى كتبها موسى بيده فاضاعوها، بل يكاد يكون هذا القول أرجح الاقوال فى سبب ضياع التوراة . وبعد موت طالوت وخلاف يسير اجتمع بنو اسرائيل على داود عليه السلام فكان نبيا وملكا ، وكذلك كان ابنه سليمان ، وهما أعظم ملوك بني اسرائيل . ولما تولى سليمان الملك طلب صندوق العهد فلم يجد فيه التوراة ، وقد جاء في الاصحاح ٨ من سفر الملوك الاول هكذا (لم يكن فى التابوت الالوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب)

ولما مات سليمان حصل فى بني اسرائيل انقلاب عظيم حيث لم ينقد لحكم رحبعام بن سليمان الاسبطى يهوذا وبنيامين ، أما الأسباط العشرة فملكوا عليهم يربعام أحد عبيد سليمان وكان كافرا يعبد الأوثان فحمل بنى اسرائيل على عبادة الأوثان ، ولم يكن للتوراة فيهم أثر يرى ولا خبر يسمع ، ولازال الأمر كذلك نحو ٤٥٠، سنة أو ٥٤٠ سنة حتى ظهر الكاهن حلقيا وزعم أنه وجد التوراة فى بيت الرب بطريق الصدفة فايده الملك يوشيا ابن آمون وسكت شيوخ بني اسرائيل .

ومن يقرأ الكتاب الثانى للمؤرخ هيرودتس الذي كان قبل المسيح

بأ كثر من ٤٠٠ سنة يعلم يقينا أن حلقيا جمع من تقاليد المصريين ، والكلدان الوثنين وأضاف الى ذلك ماعرفه من شيوخ بني اسرائيل عن موسى وعن الانبياء من بعده ، وجعل ذلك كتابا وادعى أنه وجد توراة موسى فى بيت الرب بطريق الصدفة :

أقول بعيد جدا أن يجد حلقيا توراة موسى فى بيت هدم و بني مرتين ، وكان فى داخله الأصنام وفى فنائه المذابح الوثنية وكان يدخله كل يوم جمهور الشعب و يعمل فيه كل ساعة خدمة الاصنام . ولولا ثبوت الباطل باتفاق المبطلين عليه لما كان لهذه القصة أثر فى كتب التاريخ فضلا عن الكتب الدينية .

و بفرض صحة هذه الفرية فان بختنصر جاء بعد حلقيا و يوشيا بأقل من خمسين سنة فخرق بيت الله و بيوت الملك وجميع بيوت أورشليم ، وشتت شمل بنى اسرائل، واباد التوراة عن صحفة العالم ودامت أورشليم خرابا ٧٠ سنة فبناها أزدشير بهمن المعروف عند اليهود بكورش ، وكان فى جملة من أعادهم هذا الملك من العراق الى الشام عزرا المعروف عندنا بعزيز ، وهو كان حبرهم ورئيسهم ، فاجتمع اليه شيوح بنى اسرائيل فاختار منهم ١٢٠ شيخا وتشاوروا في أمر التوراة ولم يكن على وجه الارض منها نسخة واحدة فطلب عزرا أن يمده كل واحد منهم بما عنده من أحكام التوراة ، فما زال يستمدهم وما زال شيوخ الاسباط تفد عليه حتي جمع كتابا قال انه التوراة المعطى لموسي لم ينقص منها شئ ، ففرح لذلك بنوا اسرائيل وقالوا إن الله مثل التوراة فى صدر عزرا قال كلمنس وكان فى الجيل الأول للمسيح ان الكتب السماوية ضاعت فألهم أن يكتبها عزرا مرة أخري .

وقال ترتولين المشهور أن عزا كتب مجموعة العهد القديم بعد ما أعدمها أهل بابل . وقال تهيو فلكت أن الكتب المقدسة انعدمت رأسا فأوجدها

عزرا مرة أخرى بالهام . وقال جان ملنر الكاثوليكي (فى ص ١١٥ من كتابه المطبوع سنة ١٨٤٣) اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الاصلية — وكذا جميع كتب العهد العتيق — ضاعت بأيدي عسكر بختنصر ، ولما ظهرت بواسطة عزرا ضاعت مرة ثانية فى حادثة أنتيوكس

أقول هذا اعتراف من مؤرخي النصارى صريح بضياع نسخة التوراة الأصلية ، و بأن هذه النسخ المتداولة بينهم ليست هى توراة النبي موسى عليه السلام !؟ وما زالت التوراة التى أوجدها عزرا تحتجب مرة وتنكشف مرة حتي تقلص ظل الفرس عن بنى اسرائيل وفاء عليهم ظل اليونان ، فطلب الملك بطليموس الثانى من بنى اسرائيل أن يرسلوا له جماعة من أفضل علمائهم ، فاتفقوا على أن يرسلوا له ستة نفر من كل سبط من أسباطهم الاثنى عشر فبلغ عددهم ٧٢ رجلا، هم خير بنى اسرائيل فى وقتهم ، ولما تمثلوا بين يديه سألهم عن الكتاب الذى كتبه عزرا ، فقالوا جميعا أنه ذات التوراة التى تلقاها موسى عن الله ففرقهم وأمر كل فرقة بترجمتها من لغتهم العبرية الى لغته اليونانيــة وهى المشهورة بالترجمة السبعينية وعليها معول جمهور النصارى وكان ذلك سنة ٢٨٠ قبل المسيح ، وفي سنة ١٦٢ — أى بعد ١١٨ سنة من تاريخ الترجمة — كانت حادثة انتيوكس الوارد ذكرها فى الباب الأول من الكتاب الأول للمكابيين هكذا (لما فتح انتيوكس ملك ملوك الفرنج أورشليم أحرق جميع نسخ العهد العتيق فى كل مكان وامر أن من توجد عنده نسخة منها أو من يؤدى رسوما دينية بموجبها يقتل وتصادر أمواله)

وظل هذا القرار يصدر فى كل شهر مدة ٤٢ شهرا ، فانعدمت فى مدته جميع نسخ التوراة التي كتبها عزرا والتى ترجمها بطليموس . وقال جان ملنر الكاثوليكي انه لما ظهر نقول النقول بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضاً فى حادثه

انتيوكس ، ووقعت بعد ذلك على اليهود حوادث كثيرة أشدها حادثة القيصر
طيطوس سنة ٣٧ بعد المسيح وفيها هلك من اليهود فى أورشليم ونواحيها ألف
ألف ومائة ألف بالنار والسيف والجوع ، وبيع منهم ٩٧ ألفاً فى الممالك ، ثم
كانت حادثة الوحش القاسى (نيرون) وكانت أدهى وأمر من سابقتها ، فانه فتك
بالخصمين النصارى واليهود ، وأعماله مشهورة تقشعر منها الأبدان . وفى سنة ١٣٠
اجتمع اليهود وحذفوا من التوراة كل ماظنوه دليلا للنصاري عليهم . الي أن قال
تفرغ كثير من المتقدمين والمتأخرين من علماء الشرق والغرب للبحث عن
منشأ الأناجيل وأدوار تقلباتها ، وأسباب تخالفها بعضها عن بعض ، فاتت
بحوثهم بفوائد أزاحت النقاب عن أعمال قدماء المسيحيين ، وبينت أسباب
ضياع الأناجيل الاولى ، وكيفية إيجاد الأناجيل الحاضرة وسر رواجها
بين العامة ، فصار واضحاً للخاصة أصل منشأها وأزمان نشأتها :

استدل المؤرخون بقول بولس فى أول رسالته لأهل غلاطية (إنى
أعجب من أنكم أسرعتم بالانتقال عمن استدعاكم بنعمة المسيح إلى انجيل
آخر وهو ليس بانجيل ، بل أن معكم نفراً من الذين يزعجونكم ويريدون
أن يحولوا دين المسيح) إلى أن المسيح كتب إنجيلا وتركه لأتباعه ،
فأضاعه المنافقون منهم بعده بقليل . وهذا الرأى ضئيل جداً ، إذ ينكر
أكثرهم كون المسيح كتب إنجيلا . ويقولون ، إن أول إنجيل كتب بعد
المسيح بقليل هو إنجيل متى الذى كتبه باللسان العبرانى فى بلاد العبرانيين
وتركه للمؤمنين من اليهود ، ولم يعلم يقيناً من ترجم هذا الأنجيل ومتي ترجم
من اللسان العبراني الي اللسان اليوناني

وفى تفسير لوردمتر (ج ٤ ص ٤٤١) قال جيرون في فهرست المؤرخين
« أن متي كتب إنجيله فى أرض اليهودية باللسان العبرانى ، ولم يتحقق ...

، ترجمته ومترجمه » . وفى تفسير دوالى ورجروا منت مانصه « وقع اختلاف عظيم فى الزمان المتأخر فى أن إنجيل متى كتب بأى لسان ، لكن الكثير قالوا أنه كتب بلسان أهل فلسطين » . وفى تفسير هنرى واسكات « أن نسخة الانجيل العبرانية التي كتبها متى ضاعت فى فتنة بروشالم ، بعد أن حرقتها الفرقة الأبيونية التي كانت معاصرة لبولس » . ولم يعلم المؤرخون عن هذا الانجيل وعن سابقة الاالاسم فقط الذى وصل اليهم على ما يظهر من أفواه الناقلين . قال آدم كلوك فى تفسيره . من المحقق أن الاناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة فى أول القرون الأولى للمسيحية ، ويوجد أكثر من سبعين إنجيلا كاذبة ، والأجزاء الكثيرة منها باقية فى هذه الأناجيل التى بايدينا . ويؤيد ذلك ماذكره لوقا في فاتحة إنجيله حيث قال إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الامور المتيقنة كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدأ معاينين وخداما للكلمة (المسيح) رأيت أنا أيضا — إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق — أن أكتب على التوالي اليك أيها العزيز تاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به » قال أرينيوس : إن الأشياء التى تعلمها لوقا من الحواريين بلغها الينا . وقال جيروم ، ان لوقا تعلمه ليس منحصرا من بولس الذى لم يحصل له صحبة جسمانية بالمسيح ، بل تعلم الانجيل منه ومن الحواريين ، وكان الحواريون ككل انسان يتكلمون ويكتبون بمقتضى عقولهم بغير الهام ، كما كتب بولس بغير الهام الي طيماوس هكذا (استعمل خمرا قليلا من أجل معدتك واسقامك الكثيرة) . وقال الرداء الذي تركته عند كاريس احضره معك متى جئت ، والكتب أيضا . الى غير ذلك من الامور الشخصية المندرجة عبثاً فى الكتاب المقدس . وقال كلارك . ان كثرة الاناجيل الكاذبة هيجت لوقا على تحرير انجيله

وليس بالهام ، بل باجتهاد ككل مؤرخ وكذاقال دكسن والدكتوردينس
اما انجيل يوحنا فالقول الراجح عندهم أنه مستقى من فلسفة اليونان ، والفرق
بينه و بين الاناجيل الثلاثة فى اللهجة والتعبير ظاهر جدا . وكان انجيل
بيقيموس الذى أخذ منه المجمع النيقاوى عقيدة انحدار المسيح من أجل
الاناجيل المعتبرة فى الصدر الأول ، وليس لهذه العقيدة أثر في الاناجيل
الموجودة . وفى زمن اختيار هذه الاناجيل الاربعة وأقرارها فى الكنائس
خلاف كثير ، الا انها لاتعدو الجيل الرابع ، وتم ذلك بالاستصواب الخالى
من كل دليل . ولما تساءل المؤمنون عن السبب الداعى لهذا الاختيار أجابهم
الأسقف (مارا كريانس) يجب أن تكون الاناجيل اربعة، لأن الرياح أربعة
والجهات أربعة . وأضاف الأسقف (مارا كريانس) سببا آخر وهو وجود
أنهر أربعة . هذه هى أدلتهم على صحة و إثبات هذه الاناجيل الأربعة من جملة سبعين
إنجيلا . وأنا لا أجيز للقارىء أن يضحك من هذه الأجوبة الهذيانية والبراهين
الصبيانية، بل الأدلة الجنونية! ولكن أجيزله أن يبكي على عقول أذعنت لمثل هذه
الخرافات السخيفة ، وعلى أنها صارت فيما بعد عقائد تسيل من أجلها الدماء .

اما كون هذه الاناجيل الأربعة هى صحيحة النسبة لمن ينسبونها اليهم حقا
أم لا ، فمشكلة تعذر حلها على الباحثين . قال المعلم سيباتية رئيس الدروس
العليا فى مدرسة السوربون لما تعذر على الكنيسة معرفة المؤلفين الحقيقيين
لهذه الاناجيل أضطرت بالقول الدارج فى الكنائس . انجيل حسب متى
انجيل حسب مرقس الخ . قال لاردنر (ج ٥ ص ١٢٤) من تفسيره ما نصه
« حكم على الاناجيل المقدسة لاجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر
السلطان أغسطينوس فى الأيام التى كان حاكما عليها فى القسطنطينية
فصححت مرة أخرى » . أقول وفى هذا دليل على أن ...

كون هذه الاناجيل عن المسيح وكونها من تصنيف الحواريين ، اذ لو كانت عن المسيح لما جاز تصحيحها ، ولو كانت عن الحواريين ما جاز تجهيل مصنفيها . قال أكهرف نقلا عن لسان ساليسوس الذى كان فى القرن الثانى للميلاد « بدل المسيحيون أناجيلهم ثلاث أو أربع مرات ، بل أزيد ، تبديلا غير جميع مضامينها » . وفى الجزء الثالث من تفسير لاردنر نقلا عن كستاين وهو عن فاستس ، وهو من أعظم علماءهم في القرن الرابع للمسيح ما نصه « انا لا انكر الاشياء التي الحقها فى العهد الجديد آباؤكم واجدادكم بالمكر وعيبوا صورته الحسنة وافضليته ، فان هذا الامر محقق . ان هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون ، بل صنفه رجل مجهول الاسم ونسبه الى الحواريين ورفقاء الحواريين ، خوفاً من ان لا يعتبر الناس تحريره ظانين انه غير واقف على الحالات التي كتبها وآذى المريدين لعيسى ايذاء بليغاً بان الف الكتب التى توجد فيها الاغلاط والمناقضات ! » . وقال آدم كلارك (ج ٥ ص ٣٩٦) من تفسيره « من قديم الزمان أن الكبار يكون المؤرخون لهم كثيرين ، وهذا هو حال الرب (المسيح) ، لكن كان أكثر بياناتهم غير صحيحة ، وكانوا كتبوا الاشياء التي لم تقع بانها وقعت يقيناً وغلطوا فى الحالات الاخرى عمدا أو سهوا ، لاسيما فى الأرض التى كتب فيها لوقا انجيله .

وفى سنة ٣٨٤ لما رأى البابا داماسيوس ما فى الاناجيل المنتشرة من التنوع والاختلاف أوعز الى ماريروينموس ان يحرر ترجمة لاتينية جديدة فى العهدين القديم والحديث لتعتبر وحدها صحيحة قانونية فى الكنائس ، وكان الامبراطور ويودوسيوس قد ضجر من المخاصمات الجدلية القائمة على قدم وساق بين الاساقفة والمجامع فاصدر أمرا بان حق التولية لاسقف

رومية وحده ووجوب اتباع النصارى عموميا ما يعلمه البابا . وهذا الاسقف هو أول رئيس ديني عمومي في الملة المسيحية ، فلي اير وينموس أمر البابا وترجم العهد القديم والجديد من اليونانية الى اللاتينية ، وكان اير وينموس كلما انجز جزاءا من الكتاب يقدمه للبابا داماسيوس مصحوبا بمقدمة خصوصية ، وقد جمعت هذه المقدمات كلها في كتاب دعى بمقدمات مار اير وينيموس ، وهاك بعض ما كتبه الى البابا في مقدمته على ترجم الاناجيل . قد أوعزت الي أيها الحبر الأعظم ان أحيل تأليفاً قديما الي تأليف جديد ، وكأنك قد أقمتني حكما على نسخ الأسفار المقدسة العديدة المنتشرة في المسكونة كلها والمختلفة بعضها عن بعض لأميز ما كان موافقا منها للأصل اليوناني . ان هذا العمل لقوي ، انما جسارة موبقة أيضاً أن يدين الآخرين بمن يدينه الجميع ، ويغير لغة الشيخ ، ويعيد الي الصبوة عالماً عتيقا .

ولعمرى أى عالم ، بل جاهل عند استلامه نسخة جديدة ، وتلاوته إياها ولو مرة واحدة لا يصرخ فى وجهى ويقوم ضدى لانه يرى هذه النسخة مغايرة لنسخة تعود قراءتها منذ القدم ولا يدعونى منافقاً ومزورا لكونى تجاسرت على أن أضيف وأغيروأ نقح بعض أشياء فى الكتب القديمة، إلا أن باعثين يسليانى عن هذه التهمة . الأول ـ لكونك أنت أيها الحبر الأعظم أمرتنى بهذا العمل ، والثانى ـــ لأن الحقيقة لا يمكن وجودها فى أشياء يختلف بعضها عن بعض ولو استصوبها الأشرار . وختم إيروينموس مقدمته بقوله : « ان هذه المقدمة الموجزة تخص الأناجيل الاربعة فقط . متي ومرقس ولوقا ويوحنا ، فبعد أن قابلنا عدداً من النسخ اليونانية القديمة التي وجدناها تختلف كثيرا عن الترجمة اللاتينية رتبناها حسب اجتهادنا ، ونقحنا ما كان فيها مغايراً للمعني وأبقينا الباقي على ما كان عليه »

قال كثير من المؤرخين . ان نسخ الأناجيل الأصلية وقتها كانت مفقودة لأثرلها لانها كانت قد أحرقت مع كتب النصاري في عهد القيصر ديوفليس يانوس، وعليه لم يكن لدى إيرونيموس الا نسخ منقولة بغير تبصر ولاتحرير، وقد أصاب فيما توقعه من هياج معاصريه عليه ، فانهم رموه بالكفر والشيطنية ، وقابلهم هو بالمثل فسماهم حميرا برجلين وكلابا بلا أذناب ، وغير ذلك من الشتائم والسباب التي لامحل لذكرها :

ان هذه المقدمة تدلنا دلالة واضحة على ماكانت عليه الاناجيل فى الجيل الرابع من الاختلاف والتباين ، فثبت لنا بالبرهان القاطع ان الاناجيل الحاضرة ماهى الا مجموع روايات مختلطة ببعض آيات مأخوذة من كتب يختلف بعضها عن بعض كما يقول إيرونيموس ذاته ، وكما يعترف بأنه أضاف وغير ونقح ماشاء وبدل منها ماعن لخاطره وظن أنه يوافق مذهب البابا وينصره على مخالفيه . وقد قال بعض المؤرخين الغربيين وقوله حق « ان إيرونيموس هو المنشئ الحقيقي لهذه الاناجيل » . وهذه الترجمة التى صادق عليها يومئذ البابا داماسيوس وأثبتها المجمع الترمدنتيني قد خطأها البابا سيوستوس الخامس وأمر بطبع نسخة جديدة منقحة ثم خطأ الكينموندوس هذه النسخة أيضاً وأمر بطبعة جديدة منقحة هى الدارجة اليوم عند الكاثوليك .

قل لى بربك أيها القارئ ، أية ثقة للقوم بعد هذا كله بالانجيل ، وأى برهان بعد تصريح مؤرخيهم واعتراف بطارقتهم يريدون ؟ أما يكفى ماقالوا دليلا على أن انجيلهم الحالي جعلي محض ، واختلاف وترهات عدمها خير من وجودها ، فضلا عن انه ليس لأكثر عقائدهم أثر فى كتابهم ؟ الى أن قال . ومن عجيب براهينهم التى يتمسكون بها في عقيدة من أكبر عقائدهم ، وهى قولهم . إننا نسلم بصحة الانجيل لأن الكنيسة أثبتته وهى معصومة من الغلط !

لان الروح القدس يدبرها ! فان سألناهم أين البرهان على تدبير الروح القدس لها وعصمتها من الغلط ؟! أجابوا بان البرهان فى الأنجيل ذاته ، وهو وعد المسيح بأن يكون معها الي الأبد و يعصمها من الغلط . ولا أدرى أين كان المسيح أيام المجامع ، فهي اذا تسند عصمتها الى الانجيل ، وتسند صحة الانجيل الى عصمتها ! ولا يمكن أن يقنع انسان ببرهان كهذا يدعى فى المنطق بقياس الدور ، فالاجدر بالمبشرين أن يحلوا هذه المشاكل العويصة قبل أن يتشدقوا بغيرها ، وأن يذكرلنا البروتستانت منهم مبلغ ثقتهم بالبابا واعتمادهم على عملية اللعب بالإنجيل تحت نظارته ، وليلاحظوا أن للناس عقولا تدرك ، وان لهم علوءا تكشف لهم مخبئات الأمور وحوادث الدهور الى أن قال . واذا طالبنا النصارى بالسند المتصل والدليل اليقيني على صحة الكتاب المقدس ، لاسيما الانجيل الذى هو أقرب عهداً من التوراة ، قالوا ان السند منقطع والدليل معدوم بسبب المصائب التي وقعت عليهم فى الثلاثة القرون الأولى ، وأعظمها عشر مصائب تكفى كل مصيبة منها لمحو دين قريب عهد ، وابادة كتابه ، والمصائب هى :

١ — فى سنة ٦٤ على عهد الامبراطور نيرون الذى كان يقتل كل من يتدين بالمسيحية أو اليهودية أو يقتنى شيئا من الكتاب المقدس أو يعترف بان لله أنبياء أو كتباً .

٢ — فى سنة ٨٣ فى عهد الامبراطور دومشيان ، وكان مثل نيرون بل اشد منه عداوة للديانة المسيحية ، فأمر بالقتل العام حتي أيقن النصارى بمحو دينهم وقتل كلمنس أسقف الاسكندرية سنة ٩٨ ونفي ، وقيل قتل يوحنا الحواري وأمر بحرق جميع نسخ الكتاب المقدس .

٣ — فى سنة ١٠١ فى عهد الامبراطور تراجان الذى ظل ١٨ سنة يضطهد المسيحيين لقصد إبادتهم من الارض ، فحرق كتبهم وقتل علماءهم

وأباح سلب أموالهم وهتك أعراضهم و بيعهم فى الاسواق . وممن قتلهم وحرق بيوتهم ومكاتبهم وصادر أموالهم ــ اكناسش أسقف كورنثيتــه وكلمنت أسقف الروم وشمعون أسقف أورشليم .

٤ — فى سنة ١٦١ في عهد الامبراطور مرقس انتو ينس الذى أباح قتل كل مسيحي فى بلاد مملكته مدة عشرة أعوام، وكان فيلسوفا ووثنيا متعصبا :

٥ - فى سنة ٢٠٢ فى عهد الامبراطور سو يرس الذى اشتد على المسيحيين فقتل ألوفا من مصر وفرنسا وغيرها ، حتي ظن المسيحيون أنه زمن ظهور الدجال .

٦ — فى سنة ٢٣٧ في عهد الامبراطور مكسيحف الذى أصدر أمره بقتل علماء الدين المسيحى ، لان العوام تبع لهم ظنا منه ان قتلهم يجعل العامة مطيعين له بسهولة ، وكان أول من قتل البابا يونتيانوس والبابا انتيروس .

٧ — فى سنة ٢٥٣ فى عهد الامبراطور دى شس الذى أراد استئصال الملة كلها ، فأرسل الى نوابه فى الاقاليم منشورا بقتل علماء وأعيان المشرق المسيحيين، وبحرق كتبهم والتضييق على عامتهم حتى يرتدوا من المسيحية الى الوثنية ، فارتد أكثرهم لاسيما فى مصر وجميع أفريقية و إيطاليا

٨ — فى سنة ٢٥٧ فى عهد الامبراطور ولريان الذى أصدر أمره بقتل الأساقفة وجميع خدام الدين وحرق كتبهم وأذلال أعيانهم مع مصادرة أموالهم واجلاءهم عن أوطانهم واتخاذهم عبيداً للوثنيين .

٩ — فى سنة ٢٧٤ فى عهد الامبراطور أريلينى الذي ابتدأ عمله باضطهاد المسيحيين، واستعمالهم في شؤون الدولة كحفر الترع ورفع الجسور وقطع الصخور ونقلها ، الا أنه قتل ولم تطل مدته .

١٠ — فى سنة ٣٠٢ فى عهد الامبراطور ديوكليشين الذي اجتهد أن يمحو الكتب المقدسة من العالم ، فأحرق بلاداً سكانها مسيحيون برمتها،

وأمر بهدم الكنائس وحرقها وعدم اجتماعهم للعبادة . قال لاردن فى (ج ٧ ص ٥٢٢) من تفسيره. صدر أمر ديوكليشين في شهر مارس سنة ١٩ من توليته بهدم الكنائس وحرق الكتب المقدسة. ثم قال. يقول يوسى بيس بالحزن التام انه رأى بعينه أن الكنائس هدمت والكتب المقدسة أحرقت فى الأسواق !

فهل بعد هذا يقول المبشرون ان مايقوله المسلمون فى ديننا ودينهم ؟! والله يشهد إنهم لكاذبون !

ثم تكلم حفظه الله على أدوار تغير الديانة المسيحية فقال أرسل الله المسيح عليه السلام بالانجيل ، فاتبعه فقراء بني اسرائيل من صيادى بحيرة طبرية. وكانت تعاليمه سهلة مؤثرة لاتحتاج فى فهمها الى عقل كبير وفكر كثير ، مع ما كان يأتي به باذن الله من الخوارق التى تبهر العقول وتذل النفوس ، والتى ترى العيون أثرها ولا تدرك العقول مصدرها ، شأن معجزات جميع الانبياء . وما برح المسيح الارض حتى ترك في قلوب أتباعه ايمانا قويا ، فقاموا بنشر تعاليمه ، وهى الاعتراف بوحدانية الله ووجوب محبته وعبادته ، ووجوب ارتباط الناس كلهم بالمحبة وبالايمان بالآخرة والجزاء وخلود النفس ، وبضرورة التوبة والتكفير عن الخطايا التى ارتكبها الشخص في ماضى حياته ، الي غير ذلك من التعاليم الروحية ومكارم الاخلاق ، فاتبعهم الكثير من الناس لموافقة تعاليمهم الناموس العام .

دام الحال على ذلك الى السنة الثامنة بعد المسيح ، وفيها ظهر بولس وكان من أكبر أحبار اليهود المشهورين بالعلم والذكاء وبالشذوذ عن أقرانه فى المسائل الدينية ، وكان أولا من الدأعداء المسيح ، وأشد المنكرين على تعاليمه ، مع انه لم يجتمع به قط ، وكان يحث الناس على احتقار الحواريين وإيذائهم ، ثم عاد فادعى ان المسيح هبط عليه وعلمه الحقائق وأمره باعلانها

فظهر للناس بلونه الجديد، ودعاهم الى نفسه وأخذ يوبخ الحواريين و ينقصهم كما فى ص ٢ (غلاطيه) . وما وافت السنة العاشرة بعد المسيح حتى تألف حزبان من النصاري ، أحدهما تابع للحواريين ، والثاني تابع لتعاليم بولس المدعى تلقى الوحى من المسيح ذاته .

وللنصارى في كيفية تلقيه ثلاثة أقوال (الحلول والالهام والرؤيا) . وما زال التنافس يزداد والتعصب يشتد بين أتباع بولس وأتباع الحواريين حتى ظهرت من بينهما فرقة ثالثة هى (الابيونية) فجاهرت بضلال بولس وكفره وسوء قصده نحو الديانة المسيحية ، ثم ظهرت فرقة رابعة هى (المرسونية) ، فأنكرت كون العهد القديم للانبياء فضلا عن كونه من عند الله ، وأنكرت إلهام الحواريين وعصمتهم من الغلط كما يدعى نصاري اليوم . وما زال الخلاف يزداد والعناد يقوى والبدع تتبارى والحقائق تتوارى ، حتى انقرض تلاميذ المسيح قبل سنة ٧٠ ، وبانقراضهم انحلت رابطة المسيحيين فأصبحوا جماعات متفرقة دعيت فيما بعد « كنائس » يسوس ، كل كنيسة منها أسقف - أي نائب خليفة المسيح - تنتخبه الجماعة بحسب تواضعه وزهده لا بحسب علمه وعقله . و يعترف النصارى كلهم بأن أولئك الاساقفة الأولين لم يكن لهم من العلم ما يرشدون به أتباعهم الا أحاديث مأثورة وتقاليد موروثة ليس لأكثرها وجه من الصحة ، لأن الذين تناقلوها لم يكونوا من أهل العلم ، وكانت مخلوطة بتأويلات فاسدة وآراء خيالية صادرة من أدمغة أدي بها التقشف والتعسف الى أن تكون جافية . وفى أثناء ذلك دخل الكثير من اليونانين وهم حملة العلم فى ذاك الوقت فى الدين المسيحى ، و بدخولهم فيه دخلت الفلسفة اليونانية فى التعاليم المسيحية ، فاحتدم الجدال بين الفلاسفة والنصارى ، و بين النصاري أنفسهم فى الامور الاساسية الهامة ، وهى ما

تتعلق بذات الخالق وصفاته وأعماله و وظيفة الملائكة وطبقاتهم وجوهر النفس البشرية وخلودها ودرجاتها من أصغر إنسان وحشي الى أكبر انسان نبي ، وفى طبيعة المسيح وتركيبه من لاهوت وناسوت ، وفى كيفية العقاب والثواب . ولما لم يكن للنصارى الأولين من العلم ما يمكنهم من مقاومة الفلسفة اليونانية تغلب العنصر المسيحي اليوناني على العنصر المسيحي المركب من بسطاء اليهود ، فاختلطت وتغلبت مسائل الفلسفة اليونانية على تعاليم الديانة المسيحية فتشعبت مذاهب الملة وتغلبت الكثرة على القلة ، وقوي العناد وتحكمت الاحقاد وصدرت آراء الرؤس حسب اهواء النفوس ، وفي وسط تلك المجادلات العنيفة القائمة بين الفلاسفة أولا ، و بينهم و بين الاساقفة ثانيا ، و بين الاساقفة وحدهم ثالثاً نشأت الاناجيل المختلفة والعقائد العجيبة ! ولم يتمتع النصاري بالامن على أنفسهم ، والتفكر فى أمر دينهم ، الا بعد أن تنصر الامبراطور قسطنطين سنة ٣١٦ ، وكان الدين المسيحي فى ذلك الحين منقسما الي أحزاب شتى ، أكبرها فئتان ، واحدة تقول بألوهية المسيح ، والثانية تنكرها وزعيم المنكرين أريوس المشهود له بسعة العلم ، و بلاغة التعبير ، وقوة التأثير ، كان يقول ان للاب والابن جوهرين متميزين ، وان الثاني خليفة عن الأول وليس هو باله ، فانحاز لرأيه عدد كبير من الأساقفة والكهنة والشعب . ولما رأى ذلك اسكندر أسقف الاسكندرية استدعى بعض الاساقفة وألفوا فيه مجمعاً حرموا فيه اريوس وتعاليمه فقام عندها أسقف نيقوميديا وألف فى مدينته مجمعاً آخر حضره كثير من الأساقفة وأثبتوا فيه مذهب اريوس وحرموا من خالفه . وعلى أثر ذلك ازداد أتباع أريوس واشتد الخصام بين النصارى حتي اضطرب الأمن فى داخلية البلاد ، فكتب الامبراطور قسطنطين الى اريوس واسكندر ما نصه « أنتم تتخاصمون فى أشياء

لا تدركونها ولا يمكن أن تدركوها، وتثيرون الحرب بين الناس لكلمات لاغية باطلة ، فان كنتم لا تتفقون في المسألة الباطلة الجنونية المسببة للخصام بينكم فعلي الأقل احتفظوا بهذه التوافه لأنفسكم ولا تقلقوا بها الشعب ! » وسير اليهما هذه الرسالة على يد أريوس أسقف قرطبة الذى أضاف اليها ما يأتي « ما كادت النصرانية تتمتع بالسلام حتى أخذتم تقلقونها بنزاع دائم ليس منكم من يستطيع أن يثبت ان كان المسيح مخلوقا أو مولوداً ، فلو كان لهذه المسألة أهمية جوهرية لما أغفل المسيح التكلم عنها » . فذهب منطوق هاتين الرسالتين إدراج الرياح ، واشتد الخصام بين القوم واشتعلت بينهم نيران العدوان الى أن تجاسر بعض أنصار ألوهية المسيح على تنكيس تمثال قسطنطين فى بعض الميادين العمومية بحجة أنه معاضد للاريوسيين ، فلما علم الامبراطور بذلك قصد أن يقيم مجمعاً مؤلفا من كل أساقفة النصرانية لحسم النزاع يترأسه بنفسه وينصر رأى الأكثرية بسلطانه ، فاجتمع المجمع في نيقيا سنة ٣٢٥ وتقاطر الأساقفة اليه من كل أرجاء المسكونة . قال الأسقف بينوس كاتب أعمال المجمع النيقاوى . ان أكثر أباء المجمع كانوا على غاية السذاجة وقلة العلم . وقال المؤرخان سقراط وسوذينوس انهم تناسوا سبب اجتماعهم وأخذوا يتشاجرون ويتشاتمون لمسائل شخصية وصاروا يقدمون للملك معروضات بمساوىء بعضهم ، ولكن الملك ألقي تلك المعروضات فى النار ولم ينظر فيها. ودام المجمع خمسة أشهر حتى بلغ الخصام فيها غايته ، فكان رأى الاريوسيين ان المسيح أبدع من العدم وكان زمانا لا وجود له فيه وليس هو باله . وكان رأى الأسكندريين ان الابن وحيد في طبيعته وهو عقل الاب وقدرته وضياء مجده ، فسلم الاريوسيين أخيراً بهذا التجديد ، إلا ان المعارضين شكوا فى هذا التسليم وحسبوه مكراً فطلبوا أن يضاف الى تجديدهم « مساو للاب بالجوهر »

فأبى ذلك الاريوسيون، فنفاهم الملك لعدم موافقتهم رأى الاكثرية بعد أن أوعز الى أنصار ألوهية المسيح بأن يرتبوا قانون الايمان المقول فيه عن يسوع انه « إله من إله ، نور من نور مولود وغير مخلوق، مساو للاب فى الجوهر » ولم يدم فوز أنصار ألوهية المسيح ، لأن آريوس ومن معه عادوا من المنفى بعد بضع سنين ودخلوا الاسكندرية بالنصر ، وعاد الذين وقعوا على القانون النيقاوى ففسخوا توقيعاتهم ونادوا ببطلان مساواة الجوهر ، فاضطر الملك الى تكوين مجمع آخر فى انطاكية ونودي فيه بصحة مذهب أريوس و بطلان مذهب خصومه الذين دعوا أنفسهم (أرثوذكس) أى مستقيمى الرأي ، فرذل هؤلاء المجمع الانطاكى كما رذل الأريوسيون المجمع النيقاوي ، وفى وقت اشتداد النزاع بين الفريقين مات آريوس يوم دخوله الاسكندرية محمولا على أعناق أنصاره والجموع تهتف له بالعز والنصر ، فادعى الأرثوذكس بان موته كان ضربة من الله على أثر صلاة الحبر ميكريوس عليه ، وزعم الآريوسيون ان يد الله ساعدتها يد الأرثوذكس . و بعده بثلاث سنين توفى قسطنطين سنة ٣٣٧ بعد أن قسم الملك بين بنيه الثلاثة . قسطنطين وقسطنطس وقسطنت وكان يومئذ مارا ثناسيوس مقيما بالمنفى وهو من أشد أعوان ألوهية المسيح ومن ألد أعداء الأريوسيون ، فاستماح قسطنس وقسطنس وقسطنت فى إقامة مجمع مسكونى يحكم بين المجمعين النيقاوى والانطاكي ، فاجتمع الأساقفة الغربيون في سرديكا وأثبتوا قانون الايمان النيقاوي على ما هو عليه وحرموا الأريوسيين . أما جمهور المسيحيين فكانوا متحيرين لا يعلمون أى المجمعين المؤيد بالروح القدس . ولما رأي البابا ليبريوس اخفاق مجمع سرديكا طلب الى الملك قسطنس تأليف مجمع جديد فى مدينة ميلان فلبي الملك طلبه باصدار أمره بالاجتماع، إلا ان الكثير من أساقفة الفريقين لم يحضروا والذين حضروا من

أساقفة الشرقيين طلبوا إثبات الحكم على انتسيوس ، فعارضهم الأساقفة الغربيون في ذلك وانتشب الخصام بين الفريقين ، فنفى الملك عندها الأساقفة الغربيين ومنهم البابا ليبريوس لامتناعهم عن التوقيع ، ثم أمر بانشاء مجمع آخر إلا أنه رأى تعذر اجتماع أساقفة الفريقين في مكان واحد ، فأمر أن يجتمع الغربيون في ريمني والشرقيون في سلوقيا ، فكان كمن يحشد جيش عدوين في نقطتيهما ويقول لهما اصطلحا معاً ، وكان أكبر أباء المجمع الريمي من الارثوذكس واكثر آباء المجمع السلوقي من الأريوسيين الذين تجاسروا مع قلة عددهم على ابتداع قانون جديد قالوا فيه « ان الابن شبيه بالاب في الجوهر وليس بمساو » فأبى ذلك الارثوذكس فأرسل اليهم الملك أمراً بوجوب التوقيع على القانون الجديد المعروض عليهم من الاريوسيين ، وأوعز الى رؤساء جنده بأن لا يدعوا أسقفا يبارح المدينة قبل اتمام مرسومه ، فأخطر الاساقفة الى إلغاء عبارة « مساو بالجوهر » وتم ذلك في غضون أربعة أشهر ، فاصبحت الأمة النصرانية كلها تابعة للمذهب الاريوسي القائل بعدم ألوهية المسيح ، وتم ذلك بقوة القهر والسلطان لا بقوة العلم والبرهان! وما زالوا على هذا المذهب الحق حتى مات الملك قسطنس سنة ٣٦١ فثار الاساقفة الغربيون ونادوا بمساواة الجوهر ولعن الاريوسيين ، فتجددت الأحقاد القديمة واستعرت نار الخصام بين الفريقين من جديد ، وفعل كل فريق بالآخر من الفظائع الوحشية مالم ير مثله الا من فريقي البروتستان والكاثوليك .

ولما رأى الملك تيودسيوس اضطراب حبل الأمن في داخلية بلاده بسبب انقسام الناس الى أحزاب متنافرة لمسائل لا أصل لها ولا فائدة منها أراد أن يحسم كل جدال ونزاع واقعين بسبب الدين ، فاصدر أمره بان يتبع النصارى كلهم مذهب البابا دامسيوس ، القائل بالوهية المسيح ، ومن يخالف

أمره يعد هرطوقيا مرذولا مستوجباً لاشد العقوبات ، فعظم الامر على الأريوسيين، الاأن البابا المذكور لم يتجاسر على تنفيذ حكمه وتعميم مذهبه لكثرة عدد الاريوسيين وسعة نفوذهم ، فبقى اساقفتهم على كراسيهم متمعين بحرية المذهب إلى أن حكم أخيراً الملك بخلعهم عن كراسيهم والغاء حقوقهم المدنية على حيلة مقدسة أتاها انفيلوك اسقف أيقونا وهى « كان اركاديوس ابن تيودسيوس قد سمى قيصرا فى حياة أبيه ، وكان الأسقف انفيلوك فى بلاد الملك فلم يؤد الاحترام الواجب لأ بنه اركديوس فنبهه الملك الى تقصيره هذا ، وأوعز اليه بأن يحي ابنه التحية الواجبة ، فدنى الأسقف من اركديوس ولاطفه بعض الملاطفة قائلا يكفى هذا لولي العهد .أما الاحترام الكلى فلا يكون إلا للامبراطور ذاته، فغضب تيديسوس من هذا الجواب وأمر بطرده من البلاط ، فقال الاسقف وهو منطلق «مولاى، أنت لاتطيق إهانة لاحقة بأبنك وتغضب على من لايؤدي له الاحترام الواجب، فكيف لايمقت إله السماء والارض من يجدف على ابنه الوحيد ولم يؤد له الأحترام ذاته المستوجب لعزته الألهية ؟ » فاتعظ الملك من هذا المثل ، وأصدر أمرا بطرد الاريوسيين حالا من المدن وتشتيت شملهم ونزع الحقوق المدنية منهم مالم يعترفوا بالقانون النيقاوي !!

وهكذا استطاع هذا الاسقف أن ينقل بحيلته أمة النصرانية باسرها من عقيدة إلى عقيدة، وأن يثبت أمراعجزت المجامع المسكونية عن إثباته، فتأسست بفضل حياته عقيدة ألوهية المسيح، وأيدتها السلطة العمياء بقوة السلطة الحكومية وطريقة الأضطهاد ، مع علم الملوك ورجال الدين المسيحى كلهم بان المسيح لم يرد ولم يوجد شيئا من هذه العقائد ، ولم يجل شئ منها بخاطر الحواريين ، وبانها كلها من مقررات المجامع المختلفة الأهواء المتباينة

الاراء لا أساس لها الا الاتفاق الخالى من كل دليل ، وكفى هذا الجاما لأفواه المبشرين لانه من كتبهم وعن علمائهم !

أقول : وقال صاحب الفارق مخاطبا كل مبشر ، بل كل مسيحي ، رجاء أن يشفق على نفسه ، فيرجع الى الحق — قال أنت تعلم أن الكتاب السماوى الذي يجب الخضوع له والأئتمار بأوامره والانتهاء بنواهيه لا يكفى فى إسناده مجرد الظن والوهم ، لافى وجوب اعتقاده ، ولا فى التمسك به فى مقابلة طعن المخالف! فاذاً لابد أن يثبت أنه كتاب الله الذى أنزله على النبي الفلانى بسند متصل فى جميع طبقاته ، متواتر في عامة مراتبه ، والا فثقتكم بدينكم ثقة المتمسك بخيط العنكبوت فى عدم السقوط الى الأرض. ولقد فتشنا كتبكم من جهتي العقل والنقل ، فوجدناها من جهة العقل لا يسلمها عاقل ! لما فيها من التناقض والمغالطات التى تمنع أن تكون من صحيح الكتب التاريخية ، فضلا عن أن تكون من الكتب الالهية . وأنت ترى أن نيفاً وسبعين كتابا من كتب العهد الجديد منسوبة الى عيسى ومريم والحواريين وتابعيهم قد رفضتها كنيسة (كريك) وكاثوليك وبروتستنت ، وقالت ان كلا من هذه الكتب من الاكاذيب المصطنعة ، ومثل ذلك كتب العهد العتيق ككتاب المشاهدات والسفر الصغير للتكوين ، وكتاب المعراج ، وكتاب الاسرار ، وكتاب الأقرار المنسوب جميع ذلك الي موسى عليه السلام ، فان تلك الفرق أيضاً رفضتها بحجة أنها من الأكاذيب المصطنعة ! فاذا أنعمت النظر وأنصفت وجدتها من حيث النقل مصطنعة لا سند لها يعول عليه ، ولا مستند يركن اليه ، والظن والتخمين لا يفيدان فى هذا الباب شيئاً ، ومجرد العجز منكم عن ابراز الدليل الكافى باقراركم يكفي فى أن تكون لنا الحجة عليكم !!

والخلاصة أنه قد تبين لنا من كل ماتقدم غاية التبيان أن اناجيل هؤلاء الاقوام وكتبهم وقعت بأيدي أناس لايخافون الله فبدلوها وغيروا أسلوبها ، بل محوا مابها من حق سماوي بالكلية ، جريا وراء شهواتهم ومطامعهم الشخصية ، وأن دياناتهم أوهى من بيت العنكبوت ، لا أساس لها ترتكز عليه ، فهى عبارة عن خرافة رائجة بين عقول سخيفة خالية من التفكير والتأمل فى مبدئها ونهايتها ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والحمد له أسعدنا بدين الاسلام واشقاهم بعبادة الاوثان !

وتتميماً للفائدة رأينا ان نختم رسالتنا هذه بمناظرتين جليلتين ، أولاهما للنبي صلى الله عليه وسلم ، وثانيتها للفخر الرازي ، وقعتا لهما مع اسلاف هؤلاء المكابرين المعاندين ، ذكرهما الرازى فى تفسيره فى سورة (آل عمران) أولاهما فى أول السورة

وتتخلص فى أنه وفد على رسول الله صلي الله عليه وسلم ستون راكبا من نجران ، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم وثلاثه من أكابرهم أحدهم أميرهم ، والثاني مشيرهم ، والثالث حبرهم وعالمهم ، فبيناهو يسير راكباً بغلته وبجانبه أخوه إذ عثرت دابته فقال اخوه تعس الأبعد يعنى رسول الله ، فقال بل تعست أمك ، فقال ولم ياأخي ؟ فقال إنه والله النبي الذى كنا ننتظره ، فقال له أخوه ومايمنعك من أن تؤمن به اذا كنت تعلم هذا ، فقال اننا حين أن زارنا ملوك الروم أنعموا علينا انعاما كثيراً فلو آمنا بمحمد لااسترجعوا منا كل ذلك ! فوقع صدقه في قلب أخيه حتى أسلم وحدث بذلك .

ولما أن وصلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ هؤلاء الثلاثة يتجاذبون اطراف الحديث معه ، فتارة يدعون ألوهية عيسى ، وتارة يقولون انه ابن الله ، وتارة انه ثالث الثلاثة . مستدلين للاول بانه كان يحي

الموتي ويبرئ الأكمة والابرص ويخبر بالمغيبات ، وللثانية بعدم وجود أب له ينسب اليه ، وللثالثة بكل لفظة فى القرآن تدل على الجمع مثل فعلنا وجعلنا ، فلو كان واحداً لقال فعلت وجعلت. فاخذ رسول الله يناظرهم قائلا الستم تعلمون أن الله حي لايموت ، وأن عيسى يجوز عليه الفناء ؟ قالوا بلي . قال الستم تعلمون أنه لايوجد مولود الا ويشبه أباه ؟ قالوا بلي . قال ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شئ يكلؤه ويحفظه ويرزقه ؟ قالوا بلى. قال وهل يملك عيسى شيئاً من ذلك ؟ قالوا لا . الستم تعلمون أن الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء ؟ قالوا بلى . قال وهل عيسي كذلك ؟ قالوا لا . قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك ؟ قالوا بلى . قال الستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث ولا ينام ، وان عيسى حملته امرأة ووضعته ، كما تحمل كل امرأة وتضع ، وغذى كما يغذى كل طفل . ثم كان يطعم الطعام ويسقي الشراب ويحدث الاحداث ؟ قالوا بلى، فقال صلي الله عليه وسلم فكيف يتحقق مازعمتم ؟! فعرفوا الحقيقة ، ولكنهم أبوا الا نكوراً . ثم قالوا يامحمد است تزعم انه كلمة الله وروحه منه ؟ قال بلى ، قالوا فحسبنا ذلك ، فانزل الله تعالى (فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله)

ثم إن الله تعالى أمر محمداً بملاعنتهم فدعاهم اليها فقالوا ياأبا القاسم دعنا ننظر فى أمرنا ثم نأتيك بما تريد ثم أنصرفوا ، فقال بعض هؤلاء الثلاثة لبعض ماذا ترى؟ فقال والله يامعشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم مالاعن قوم نبياً قط الا وفنى كبيرهم وصغيرهم . واتفقوا على أن يوعدوا رسول الله وينصرفوا الي بلادهم

فأتوا اليه قائلين ياأبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك ونحن على ديننا فقال صلى الله عليه وسلم اذاً اناجزكم القتال فقالوا له لا طاقة لنا على قتال العرب ، ولكن لك علينا أن نؤديك الجزية بشرط أن لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا فرضي بذلك

أقول : ومن نظر الى مطلع هذه السورة وجدها تحمل بين أجنحتها نظما لطيفا وعجيبا ، كأن الله قال لهم أما أن تنازعوا محمدا فى معرفة الاله ، أو النبوة ، فان كان نزاعكم له في معرفة الأله وهو أنكم تريدون أن تثبتوا له ولدا وأن محمدا لا يثبت له ذلك فالحق معه بالدلائل العقلية القطعية ، فانه ثبت بالبرهان الناصع والدليل القاطع أن الله حى قيوم ، والحى القيوم يستحيل عقلا أن يكون له ولد .

وإن كان نزاعكم فى النبوة فانتم مخطئون ، حيث لا فرق بين عيسى وموسى ومحمد ، فاني كما أنزلت التوراة والأنجيل عليهما معجزة ، كذلك أنزلت عليه الفرقان معجزة له !

وخلاصة القول ان الله حى قيوم وكل من كان كذلك يستحيل أن يتخذ ولدا ، وكل من هو كذلك كان واجب الوجود لذاته وكل ما سواه فانه ممكن لذاته ، والممكن لذاته لا يكون ولدا لواجب الوجود لذاته ولا الهاً لما ثبت أن الاله يجب أن يكون حيا قيوما ، وثبت أن عيسي ما كان حيا قيوما لانه مولود كان يأكل ويشرب وينام ويحدث وقد زعمتم معشر النصارى - وخصوصا المبشرين - بأنه قتل وصلب وما قدر أن يدفع عن نفسه ! !

وثانيتهما عند قوله تعالي « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الآية » وتتخلص فى أن المبشر سأله ما الدليل على نبوة محمد؟ فقال له ظهور الخوارق على يديه كما ظهرت علي يد غيره من الانبياء كعيسى وموسى ، وقد نقل الينا بالتواتر ، فان رددنا التواتر أو قبلناه ، ولكن قلنا أن المعجزة لا تدل

على الصدق فحينئذ تبطل نبوة سائر الانبياء . وان اعترافنا بصحة التواتر واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق وانهما حاصلان فى محمد وجب الاعتراف قطعاً بنبوة لله ، ضرورة انه عند الاستواء فى الدليل لابد من الاستواء في حصول المدلول . فقال المبشر أنا لاأقول أن عيسى كان نبياً ، بل أقول انه كان إلها فقال الرازي ان الاله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته يجب ان لايكون جسما ولا متحيزا ولاعرضا وعيسي عبارة عن هذا الشخص البشري الجسمانى الذى وجد بعد ان كان معدوما ، وقتل بعد ان كان حياً على زعمكم ، وكان طفلا أولا ، ثم صار مترعرعا ، ثم صار شاباً كان يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ . وقد تقرر فى بداهة العقل أن المحدث لا يكون قديما ، والمحتاج لايكون غنيا ، والممكن لايكون واجباً ، والمتغير لايكون دائما ! الخ

فثبت بطلان عقيدتكم في المسيح بأنه الله وابنه وثالث ثلاثة . وصلى الله على سيدنا محمد وعلي آله وصحبه ومن اهتدى بهديه .

﴿ تقاريظ ﴾

الأول لحضرة صاحب الفضيلة (مولانا) العلامة الأكبر الشيخ (يوسف الدجوى من هيئة كبار العلماء ، ورئيس النهضة العلمية للأزهر الشريف ويليه تقاريظ أرباب الفضيلة أصحاب التواقيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه

(وبعد) فقد أطلعت على هذه المناظرة البديعة للاستاذ العلامة النحرير الشيخ خليل أبي لبن فوجدتها من خير ما كتب الكاتبون وألف المؤلفون . اطلاع واسع ، وعلم غزير ، وتحقيق وتدقيق . تمسك فيها بالمعقول والمنقول، فكانت لباب اللباب وفصل الخطاب . أسأل الله أن يرشد العلماء للقيام بما يجب عليهم نحو دينهم حتى يؤدوا ذلك الواجب بمختلف الوسائل وشتى الوسائل ، وأن يرشد المسلمين حتى يقوموا بتعضيدهم وتأييدهم ، اخلاصا لله وجهادا في سبيل الله ، وأن يعرفنا ما يريد الغرب بالشرق، حتي نكون من أمرنا على بينة ومن أمرهم على بصيرة . وقد قال الله تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل) وقال (ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وعلى كل حال فلا يزالون يقاتلونكم بالوسائل المختلفة، والأساليب المتنوعة، حتي يردوكم عن دينكم إن استطاعوا . والمسلمون ساهون لاهون ، مع أن الشواهد محسوسة ملموسة (وقد وضح الصبح لذي عينين) وعسي أن تكون قد نبهتهم الحوادث وأيقظتهم الكوارث ، فيهبوا لاسترجاع مجدهم وشامخ عزهم (وما ذلك على الله بعزيز)

يوسف الدجوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل الشريعة هدى للناس ورحمة . وجعلها سبيلا واضحا لنيل السعادة . والشكر له هدانا للاسلام وفضلنا على سائر الامم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أرسله الله بالحق بشيرا ونذيرا ، فبلغ الرسالة ، وأدي الامانة . وعلى آله وصحبه الهداة الراشدين

(أما بعد) فقد وقفت على هذه المناظرة لمؤلفها الاستاذ الجليل ، والعالم النبيل الشيخ خليل أبى لبن فالفيتها من أقوى ما تقطع به السنة المبشرين ، بما احتوت عليه من البراهين القاطعة ، والحجج المعقولة ، والاقيسة المقبولة — وأنها تعرب عن بعد نظر مؤلفها ، ومتانة علمه ، وخبرته بدخائل أولئك المأجورين ، أعداء الحق وآلة المستعمرين . وقد أوضح لهم طريق الحق وهداهم اليه لو قدموا العقل على المنفعة الزائلة — وأنها نعم الناصح الأمين لمن أحب أن لا تغشه تلك الدعايات الكاذبة ، المستندة الى مغالطات موهومة ، وسفسطة ممقوتة — جزى الله مؤلفها عن الحنيفية السمحة خير الجزاء ، ووفق الامة الاسلامية لتعزيز العلماء وشد أزرهم ، حتى يدأبوا فى نصرة الدين والذب عن حياضه والله تعالى هو الملهم للصواب

على محفوظ

المدرس بقسم التخصيص

بالأزهر الشريف

٨—١—١٣٤٨ هـ

١٥—٦—٩٢٩ م

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحان من توحد بعظمة ذاته وكبريائه . سبحان من تنزه عن شوائب النقص وسماته . سبحان الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا .

أنعم على مخلوقاته كافة بسيدنا محمد العربي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، فانتشل العالم من ظلمات الشرك والكفر، وأخرجهم من أوحال التشبيه والضلال الى قدسية التوحيد وجلال التنزيه ، ليعبدوا ربهم حق عبادته ويعرفوه حق معرفته، فيعملوا بشريعته العادلة لينالوا سعادة الدارين ، سعادتهم في الأولى بانتظام الشؤن وإقامة قسطاس العدل لضبط العالم وكبح جماحه ، خشية من انهياره فى مهاوى الضلال والاضمحلال والدمار . وسعادتهم فى الآخرة بالرضاء الدائم ، وبالحياة السعيدة الأبدية السرمدية . ولله الشكر مابرحت نعمة الله على المسلمين تترى ، فنى كل زمان وفي كل صقع وقطر نجد أناساً من لعلماء العاملين من يدعو للدين ويذب عن حمي الاسلام ، فيحارب الباطل والرذيلة ، انتصاراً للحقيقة والفضيلة وقد أسعدني الله وله الحمد رؤية مقالات نشرتها تباعاً جريدة الأخبار الغراء المحترمة . غايتها الدفاع عن الدين الاسلامى واظهار أحقيته ، وهدفها تبيين بطلان أقوال وخزعبلات مبشري المسيحيين ودعاة الاستعمار، فتفصح للناس عن سوء نيات هؤلاء الدخلاء وفساد دعاويهم الكاذبة ، وانهم على زيغ وعماء من أمرهم . سالكا كاتبها سبيل الصواب وأسلوب الأدب ، ومنتهجاً قانون البحث والمناظرة، وملتزماً السير بموجبه فى جميع الابحاث .

وكان تمام سروري وفرحى أن وجدتها مجموعة معدة للطبع والنشر ، وعلمت أنها من أثر الأديب الألمعى ، والعالم المحمدى الاستاذ الفاضل الشيخ خليل أبى

لبن فألفيتها كتاباً صدع فيه مؤلفه بالحق وجاهر ، وأزاح الستار عن تمويهات المبشرين ، فانشقت تلك الزخارف الواهية ، وظهر المين والخداع جلياً واضحاً حيث فضح أسرارهم وأعلن عن دسائسهم ، وأبان سبل الفساد ، وشهر أساليب الغواية التى اتخذوها شبكة لصيد البلهاء والمغفلين ..

وأيم الحق انه لسفر تجب مطالعته على كل مسلم غيور على دينه أراد معرفة دخائل أعداء الدين والأمة والوطن ولاسيما المبشرين الذين انتشروا بيننا باسم الهداية والاصلاح وتعليم الثقافة ، وهم يسترون الدسائس الاستعمارية ويضمرون العداوة الدينيه . ولكننا نحن من الاسف وثقنا بهم وهم أعداؤنا وركنا اليهم وهم أخصامنا واغفلنا قول الله تعالي (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون)

جزى الله المؤلف عن الاسلام أفضل الجزاء ، وأدار الحق معه حيث دار ، وأيده بنصر من عنده وبتوفيق دائم ونجاح باهر انه سميع الدعاء ؟

محمد سعيد العرفى

من علماء العراق

تقريظ صديق لصديق

أخي الأستاذ الفاضل

أبعث اليك بكلمتي هذه ، عنوان فرح وسرور على صدور مناظرتك الجليلة ، التي دافعت بها عن ديننا الاسلامي الصحيح . وأشكرك ككل مسلم غيور على دينه وعقيدته على ماتحملته من الأعباء الثقيلة في سبيل الدفاع عن الحقيقة وأنصارها الذين أمنهم الله على سروحيه ، وأقامهم وسطاء بينه و بين عباده ولست مبالغاً اذا ماقلت ان مناظرتك هذه هي الكتاب الوحيد الذي للانسان أن يطالعه ويدارسه ، لما انطوى عليه من الجمل البليغة ، والبراهين اليقينية ، التي تصادم شبهات هؤلاء المعتدين المأجورين ، أنصار الباطل وآلة المبطلين !!

وهي تدلنا دلالة قوية على سعة علمك ، وكمال درايتك ، وقوة محجتك ، وتمام غيرتك نحو الأسلام ومن ينتمي اليه ...

ولعمري انها لحمية دينية ، ومهارة أدبية تحدونا لأن نؤمن بأن بين جنبيك روحاً طاهرة ونفساً شريفة وغيرة سلفية تستطيع أن تقابل بها كل مايخالف المقبول والمعقول في كل زمان ومكان ، مع عدم المبالات بلوم المتطرفين من أبناء هذا العصر ، الذين قد خرجوا عن جادة الصواب ، واتبعوا كل مايحسنه اليهم ذوقهم الفاسد وعقليتهم الطائشة !!

فسر في مبدئك هذا ، والله ناصرك وهو حسبك ...

هذه كلمتي بعثتها لحضرتك وأنا على يقين من أنها غير موفية بما يجب لكم ، ولكن شفيعها اخلاص قائلها .

محمود عبد السلام محمد

ازهري

﴿اعتذار﴾

جاءنا والمناظرة قد أو شكت على الفراغ جملة تقاريظ لبعض أصدقائنا فضلاء المسلمين المخلصين ، فنعتذر لأربابها من عدم نشرها ، لعلمنا أننا ماخدمنا الدين بشيء يوجب هذا الثناء والاطراء ،

ولا يسعني ازاء هذا الا أن أقدم لحضراتهم اسمى عبارات الشكر على حسن ظنهم بي ، والله يجزيهم عن شريعتنا الحقة خير الجزاء ؟

المؤلف